الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts

الرقم:...../ ن ع ب ت/ ك.أ.ع.ف/ ج.م/ 2025.

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مطبوعة بيداغوجية الأمالي في مقياس:

الصوتيات والفونولوجيا، محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصّص: تعليمية اللغات.

إعداد الدكتورة بن عابد مختارية — أستاذة محاضرة "أ" جامعة مستغانم

مصادقة رئيس القسم	أ.د غول شهرزاد رئيس قسم الدراسات اللغوية والأدبية
مصادقة رئيس اللجنة العلمية	أ.د نور الدين دحو رئيس اللجنة العلمية لقسم الدراسات اللغوية
مصادقة رئيس المجلس العلمي	أ.د مليكة رئيس المجلس العلمي لكلية الأدب العربي و الفنون
مصادقة عميد كلية الأدب العربي والفنون	دكتور: بن دحمان علي الوهاب عميد كلية الأدب العربي و الفنون

الرقم: 99 / ن ع ب ت/ ك.أ.ع.ف/ ج.م/ 2025.

شهـــــادة إداريـــــة

بعد الاطلاع على التقريرين الإيجابيين، **صادق المجلس العلمي** على اعتماد الأمالي الخاص بالدكتور(ة): **بن عابد مختارية**، أستاذة بقسم الدراسات اللغوية والأدبية، كلية الأدب العربي والفنون والموسوم بـ: **الصوتيات والفونولوجيا**، محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصّص: تعليمية اللغات.

مستغانم يوم: 2025/06/23

أ.د مليكة فريش
رئيس المجلس العلمي
لكلية الأدب العربي و الفنون

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Abdelhamid Ibn Badis Mostaganem
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
Département d'études linguistique et littéraires

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

الأمالي في مقياس الصوتيات والفونولوجيا لطلبة السنة الأولى ماستر في الدراسات اللغوية

تخصص: تعليمية اللغات.

إعداد الدكتورة: بن عابد مختارية

أستاذة محاضرة صنف "أ"

FLAA
كلية الآداب العربي و الفنون
Faculty of arabic literature and Ar

السنة الجامعية: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Abdelhamid Ibn Badis Mostaganem
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
Département d'études linguistique et littéraires

الأمالي في مقياس الصوتيات والفونولوجيا الطلبة السنة الأولى ماستر في الدّراسات اللغوية

تخصّص: تعليمية اللغات.

محاضرات في الصوتيات والفونولوجيا

إعداد الدكتورة: بن عابد مختارية

أستاذة محاضرة صنف "أ"

السنة الجامعية: 2024/2023

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة: جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

الكلية: كلية الأدب العربي والفنون

FLAA
كلية الآداب العربية والفنون
Faculty of Arabic Literature and A...

الميدان: ميدان اللغة والأدب العربي.

الشعبة: شعبة الدراسات اللغوية والأدبية.

الطور: طور الماستر

السداسي: الأول.

الوحدة التعليمية: وحدة التعليم الأساسية.

المادة: الصوتيات والفونولوجيا.

نوعية النشاط البيداغوجي: دروس (محاضرات)

السنة الجامعية: 2023/2022.

من

إعداد: دة / بن عابد مختارية

الرتبة: أستاذة محاضرة صنف "أ".

التخصص: لغة/ علم الدلالة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين على إحسانه، حمدا كثيرا تعظيما لشأنه وقدرته، والشّكر له على توفيقه، والصّلاة والسّلام على رسوله الدّاعي إلى رضوانه، وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا؛ وبعد:

يشكل الصوت الإنساني المادة الأولى في الدراسات اللغوية لأي لسان من الألسنة البشرية، وذلك لما له من دور كبير وأهمية رئيسية في حياة الإنسان، فهو يعدّ الجانب العملي للغته، ووسيلة الاتصال المشترك بينه وبين أخيه الإنسان، مهما قلّ حظّه من التعليم أو الثقافة، بل إن أصوات الكلام أو لغة الحديث هي من أهم وسائل الاتصال الإنساني على الإطلاق، وأوسعها انتشارا، ولذلك أمكن القول بأن الصوت المتكلّم به يمتدّ إلى كل مجالات الحياة البشرية دون استثناء أو تمييز.

ونظرا لهذه الأهمية الواسعة للصوت اللغوي غدا علم الصوتيات من أهم العلوم اللغوية التي نالت عناية بالغة من قبل الدارسين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم قديما وحديثا، حيث أخذ هذا المجال حظًّا وافرًا من البحث عند أمم العصور القديمة، كالهنود واليونان والرومان والعرب، وقد اختلفت جهودهم جميعا من حيث كيفية البحث وكمّيته، فالهنود كانوا أكثر اتساعا وأعمق أثرا في آرائهم الصوتية، وكان دافعهم إلى دراسة أصوات لغتهم هو الرغبة في إتقان ترتيل طقوسهم الدينيَّة، وتجويد أداء كتابهم المقدَّس المعروف باسم "الفيدا" Veda، حيث قدّم أشهر علمائهم "بانيني" في القرن الرابع قبل الميلاد تحليلا وصفيا لصوتيات لغة الهند القديمة، الذي كان له الأثر الكبير في جهود اللغويين الغربيِّين في دراسة علم الأصوات حديثا. أمَّا اليونانيون فقد ارتبط التفكير الصوتي واللغوي عندهم بالفلسفة ومبادئ المنطق، وتعدّ دراستهم اللغوية نقطة البدء الأساسيَّة التي يمكن الانطلاق منها إلى دراسة الفكر اللغويِّ الغربي؛ لأن المفكرين اليونان الذين فكروا في اللغة وفي المشكلات التي تثيرها البحوث اللغويَّة، قد استهلوا في أوروبا الدراسات التي يمكن أن نطلق عليها العلم اللغوي بمعناه الواسع، ليأتي بعدهم تلامذتهم علماء الرومان الذين أخضعوا جميعَ ظواهر لغتهم اللاتينية لقواعد اللغة اليونانية، مستعملين مصطلحاتها؛ إذ إن علم اللغة

الروماني كان إلى حد كبير تطبيقا للتفكير والجدل والمقولات اليونانية على اللغة اللاتينية، وقد سهّل هذا النقل ما وراء اللغوي التشابه النسبي للتراكيب الأساسية في اللغتين اليونانية واللاتينية، وكذلك وحدة الحضارة التي قامت في العالم اليو-روماني.

أما الدرس الصوتي العربي فلم يكن مقتصرا على علم اللغة فحسب، بل ساهمت فيه مجموعة من العلوم، والاتجاهات الفكرية والمذهبية؛ إذ يستحيل أن نؤرّخ للفكر اللساني العربي بالاعتماد على ما قدّمه النحاة، وفقهاء اللغة فقط، إنما ينبغي لمؤرّخ الفكر اللساني العربي أن ينطلق مما وفّره اللغويون، والنحاة، والأصوليون، والبلاغيون، والمجوِّدون، والقرّاء...، وغيرهم، وقد كان اهتمام العرب بلغتهم اهتماما منقطع النظير، حيث خطوا في دراسة أصوات لغتهم خطوات واسعة، وقدموا في هذا الشأن بحوثا قيّمة شهد عليها العديد من الدارسين الغربيين المحدثين، فوصفوا الصوت اللغوي وصفا دقيقا، على الرغم من اعتمادهم فقط على التجربة الشخصية والملاحظة الذاتية التي لم تتعّد الحس الدقيق، والأذن الموسيقية المرهفة، وجهودهم الصوتية المبكرة والمبهرة تعدّ اللبنة الأولى للدراسات اللغوية والصوتية العربية، بل الأساس الذي انبنت عليه، وهي تتوافق وتقترب إلى حدّ كبير إلى ما توصّلت إليه الدراسات الحديثة التي تدرس النطق أو الصوت البشري بمنهجين مختلفين لكنهما متكاملين، أي من زاويتين مختلفتين في أساس التركيز، ولكن إحداهما تعد أساسا للأخرى أو مقدمة لها، فالزاوية الأولى هي: علم الأصوات-الصوتيات La / phonetics phonétique، والزاوية الثانية هي: علم وظائف الأصوات-الفونولوجيا La phonologie /phonology.

والدراسة الصوتية بفرعيها هذين الفونيتيكي والفونولوجي لا تهتم إلا بالتعبير اللغويّ، دون النظر في المضمون الذي يقوم تحليله على جوانب أخرى كالجانب المعجمي والنحوي التركيبي...، حيث يعنى الفرع الأول بدراسة الأصوات مفردة دون النظر إلى موقعها ووظيفتها في الكلام، كدراسة أعضاء النطق عند الإنسان، وبيان من أين تخرج الأصوات اللغوية، وكيف تخرج، وبعبارة أخرى هي وصف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز الصوتي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المعاقبة لهذه الحركات، فهو العلم الذي يدرس

ويحلل ويصنف الأصوات الكلامية من حيث كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها دون الإشارة إلى تطورها التاريخي. أما الفرع الثاني الذي يهتمّ بدراسة وظائف هذه الأصوات في النظام الصوتي للغة ما، أي دراسة وظيفة الصوت في بنية هذه اللغة وعلاقة هذه الوظيفة بالمعنى، بالإضافة إلى أن الفنولوجيا لا تقتصر على دراسة الوحدات الأساسية في تشكيل السلسلة الكلامية المنطوقة وهي الفونيمات، وإنما تتجاوزها إلى دراسة عناصر صوتية أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي عناصر ليست قطعا من هذه السلسلة، وإنما تتعدّاها لتكسو ظاهر المنطوق تعرف بالعناصر فوق المقطعية كالنبر والتنغيم والفواصل الصوتية.

وانطلاقا مما سبق، سعيت جاهدة إلى الإلمام بمختلف النقاط المهمّة المتعلقة بالدراسة الصوتية بفرعيها الفونيتيكي والفونولوجي، وذلك في إطار البرنامج المقرر على طلبة الماستر سنة أولى (نظام ل.م.د) تخصص: لسانيات عامة، للسداسي الثاني من السنة الجامعية 2023-2024م، حيث حاولت ما استطعت الالتزام في ما حضّرته بمفردات المقياس ذي الصبغة النظرية والموسوم بـ: "الصوتيات والفونولوجيا" وفق ما هو مقرّر لهذا المستوى، مراعية ضوابط البحث الأكاديمي الجامعي، ومتحلّية بالأمانة العلمية في إعدادها، ومعتمدة اللغة السليمة البسيطة المناسبة للفهم والإفهام.

وقد ضمّنت هذه المطبوعة البيداغوجية أقصى عدد من المحاضرات المقررة في نظام (ل.م.د) للسداسي الواحد، وهو أربعة عشر (14) محاضرة نظرية، تماشيا مع عدد الحصص المخصصة للمقرر، والمقدرة باثني عشرة (12) إلى أربعة عشر (14) حصة، وذلك بمعدّل محاضرة واحدة في كل حصة مقدارها الزمني ساعة ونصف.

وهذه المحاضرات في مقياس "الصوتيات والفونولوجيا" لا تخرج عن ثلاثة محاور كبرى، تتمثل في:

1. فروع الدراسة الصوتية وأقسامها.
2. جهود علماء العرب الصوتية.
3. أهم المباحث الصوتية والفونولوجية عند القدماء والمحدثين.

وغايتي من ذلك كله أن يتمكّن الطلبة المستهدفون من اكتساب بعض المعارف في هذا المجال، وإدراك مدى أهمية هذا المقياس لما للصوت من أهمية بالغة في اللغة وهو مجال تخصّصهم، وميدان عملهم مستقبلا، وحتى يكون الطالب في نهاية السداسي على الأقل متمكّنا من بعض الأشياء منها:

- إحصاء جميع حروف اللغة العربية عددا وترتيبا.
- التعرف على الأعضاء المشترِكة في عملية النطق.
- ضبط مخارج الأصوات ضبطا صحيحا، ليتمكّن من نطقها نطقا سليما.
- تمييز الأصوات عن بعضها البعض من خلال معرفة صفات كل واحد منها، خاصة الأصوات ذات المخرج الواحد.
- معرفة الاتجاهات المتعددة في تحديد مفهوم الفونيم باعتباره مصطلحا معاصرا، وعلاقته بمصطلحات أخرى كالصوت والحرف والأَلوفون...
- تحديد مباحث الفونولوجيا من فونيمات مقطعية (أساسية) وفونيمات فوق مقطعية (ثانوية).

هذا، ولا يسعني إلا أن أقول أنّ الكمال لله وحده، وعليه فإنّ هذا العمل لا يخلو من النقائص والثغرات، ولا يبعد عن الزلات والهفوات، إلا أنني بذلت ما وسعني جهدي لأستوفي الموضوع حقّه، وأفيد الطلبة منه، راجية أن يكون عملي هذا إسهاما متواضعا في إثراء البحث العلمي واللغوي، وخدمة بسيطة للغتنا العربية.

المحاضرة الأولى

الدراسة الصوتية وفروعها

توطئة: قسّمت اللغة إلى عدة مستويات بغية تسهيل دراسة الظواهر اللغوية، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود علاقات وطيدة تربط بين هذه المستويات التي تشكّل في مجملها الملكة اللغوية؛ وعلى هذا الأساس يكون المستوى الصوتي اللبنة الأساسية لباقي مستويات اللغة؛ أي أن الدراسة الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، فمباحث الصرف مثلا مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق ونتائج، كما أنه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات، ومثله علم النحو وعلم الدلالة وعلم المفردات والمعجم.

فإذا جئنا إلى المستوى الصرفي وجدنا الوحدات الصوتية تدخل في بناء الوحدات الصرفية، كما تلعب دورا هاما في عملية تصريف الأسماء والأفعال، كبناء صيغة الفعل للمعلوم والمجهول، (فَعَلَ) و(فُعِلَ) حيث لا يفرق بينهما سوى وحدات صوتية، هي الصوائت القصيرة، وأحيانا نجد الوحدة الصوتية نفسها وحدة صرفية، تسهم في تحديد الصيغة الصرفية المطلوبة نحو صيغة الجمع في مثل كلمة (مُسلِمونْ) التي مفردها (مُسْلِمٌ)، حيث لا يَفرق بينهما سوى الطول في الصوت الصائت (الضمة) التي أبدلت بالواو الصائتة، فكان هذا الصوت لوحده سببا في بناء الصيغة الصرفية للكلمة[1].

وكذلك بالنسبة إلى المستوى النحوي، فإنه لا يقوم في صورته التامة إلا بالاعتماد على الأصوات، « فالتنغيم مثلا يلعب دورا هاما في تحديد أنماط الجمل من خبر وإنشاء، ومثال ذلك أنك متى نطقتَ بعض الجمل وغيّرتَ نغمة الكلام تغيَّر المعنى، نحو جملة (سافر محمد) والتي إن نطقتها بنغمة هابطة أدت معنى الإخبار، وكان نمط الجملة خبريا، وأما إذا نطقتها بنغمة صاعدة، تغير المعنى إما إلى الاستفهام أو التعجب بسبب ما يُفهم من طريقة نطق السامع، ومن هنا كان للتنغيم أثر في تحديد نمط الجملة النحوي. وكذلك النبر الذي يدخل

---

[1] ينظر: علاقة علم الصوتيات باللغة العربية، حسن المدني، مدونة إبراهيم الهنداوي http://ibrahimalhendawi.blogspot.com/، شوهد يوم: 2021/09/28، الساعة: 18:30.

ضمن عناصر الدراسة النحوية، إضافة إلى الوقف والابتداء اللذان يلعبان دورا في تحديد نمط الجملة وتخصيص عناصرها»[1].

أما بالنسبة للمستوى الدلالي، فإنك إذا جئتَ إلى جانب الدراسات المعجمية، وتمعّنتَ في العديد من مفردات العربية وجدتَ أن الصوت اللغوي المفرد يسهم في إثراء المعجم العربي بشكل مباشر، فإذا نظرت إلى الكلمات الثلاث الآتية: (بُرٌّ) و(بِرٌّ) و(بَرٌّ) وجدتَ أن الوحدات الصوتية الثلاث (الفتحة والكسرة والضمة) وهي أصوات صائتة قصيرة، قد تدخلت بما لا يمكن اعتبارها زوائدا، بل أصولا أصيلة في بناء الوحدة المعجمية[2].

1- مستويات الصوتيات:

يدرس علماء الأصوات النطق أو الصوت البشري بمنهجين مختلفين لكن متكاملين، أو من زاويتين مختلفتين في أساس التركيز، ولكن إحداهما تعد أساسا للأخرى أو مقدمة لها، والزاويتان هما:

أ- علم الأصوات اللغوية (الصوتيات، علم الأصوات العام، الفونيتيك Phonétique/tic): يعنى بدراسة الأصوات مفردة دون النظر إلى موقعها ووظيفتها في الكلام، وتبدأ عادة بالحديث عن أعضاء النطق عند الإنسان، ثم بيان من أين تخرج الأصوات اللغوية، وكيف تخرج، وبعبارة أخرى هي وصف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز الصوتي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المعاقبة لهذه الحركات، وتدرك تلك بالملاحظة الذاتية أو الخارجية مثلما أدركها متقدّمو العرب، وقد تستعمل الأجهزة والآلات لمزيد من الدقة في إدراك ذلك في معامل الأصوات اللغوية[3]. ف «علم الأصوات العام phonetics ينبغي أن يعرف على أنه العلم الذي يدرس ويحلل ويصنف الأصوات

[1] دروس في مقياس الصوتيات، عبد الصمد لميش، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص 01.

[2] ينظر: علاقة علم الصوتيات باللغة العربية، مرجع سابق.

[3] ينظر: دروس في النظام الصوتي للغة العربية، عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، أستاذ المشارك في معهد اللغويات التطبيقية، جامعة الملك سعود، السعودية، 1428هـ، ص 02.

الكلامية من غير إشارة إلى تطورها التاريخي، وإنما فقط بالإشارة إلى كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها »[1].

ب- علم وظائف الأصوات (علم الأصوات الوظيفي، الفونولوجيا Phonologie/gy): يهتم بدراسة الظواهر الصوتية؛ أي دراسة ما يحدث للأصوات من أثر بسبب مجاورة بعضها لبعض في الكلام، ولكل لغة ظواهرها المناسبة لنظامها الصوتي، فهو علم « يدرسُ الصوت الإنساني في تركيب الكلام، ودوره في الدراسات الصرفية والنحوية والدلالية في لغة معينة، كدراسة أصوات اللغة العربية، ودورها في الصّرف العربي، وفي تراكيب اللغة العربية، ودلالاتها »[2].

والدراسة الصوتية بفرعيها هذين الفونيتيكي والفونولوجي لا تهتم « إلا بالتعبير اللغويّ، دون النظر في المضمون الذي يقوم تحليله على القواعد والمعجم؛ أي أنها لا تهتم بالجانب النحوي التركيبي وبالجانب الدلالي »[3].

2- فروع علم الأصوات العام (الصوتيات):

ينقسم هذا المستوى إلى ثلاثة فروع أساسية، تتمثل في:

أ- علم الأصوات النُّطقي: ويسمى هذا العلم أيضًا (علم الأصوات الفسيولوجي)[4]، وهو « ذلك الفرع من علم الأصوات الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق، من أجل إنتاج أصوات الكلام، أو الذي يعالج عملية إنتاج الأصوات اللغوية، وطريقة هذا الإنتاج »[5]، كما يهتم بوصف الأعضاء النطقية وطبيعتها الفسيولوجية، محددا وظائف كل عضو من أعضاء النطق لدى الإنسان مع ما يترتب عليها من صفات تتميز بها كل مجموعة من الأصوات التي يدخل في إنتاجها، ويعد هذا الفرع أقدم فروع علم الأصوات على الإطلاق،

---

[1] أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثامنة، 1419هـ/1998م، ص 46.

[2] علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، عصام نور الدين، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1992م، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

[4] علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، عصام نور الدين، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1992م، ص 45.

[5] دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، 1418هـ/1997م، ص 98.

لكنه شهد في العصر الحديث تطورا، نتيجة الاستفادة من نتائج العديد من العلوم خاصة علمي الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) وعلم التشريح[1].

ب- علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي): علم حديث العهد بالوجود نسبيا؛ إذ يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السمعي[2]، وهو « فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع »[3]؛ أي أنه يعنى بدراسة الذبذبات الصوتية التي تنتقل من جهاز النطق إلى جهاز الاستقبال (الأذن)، وذلك من حيث خصائصها الماديَّة، أو الفيزيائية أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع، فيدرس هذا العلم الصوت من حيث هو موجة فيقيس سعتها وما لهذه الموجات من ذبذبة وتردد وشدة، وهذا يبرز حقيقة أن « الصوت اللغوي عندما يصبح ظاهرة فيزيائية يكتسب خصائص أخرى، حيث أن هناك أصوات تكون خافتة جدا في ترددها، كما أن هناك فروقا طفيفة بين بعض الأصوات لا تدركها أذن السامع، حيث إن مجال السمع لدى الإنسان محدود بين عتبتين (الدنيا) و(العليا)، ومتى خرج الصوت عن نطاقها لا تستطيع الأذن سماعه أو يصعب عليها ذلك. وهذا العلم يستعين كثيرا بالأجهزة المخبرية لرسم الصور الطبيعية لها، وقد توصل علماء الأصوات إلى نتائج هامة في هذا المجال انعكست بشكل إيجابي على وسائل الاتصال المعاصرة »[4].

ج- علم الأصوات السمعي: ويعنى بدراسة « الجهاز السمعي، والعملية السمعية؛ أي أنه يختص بدراسة الذبذبات الصوتية، وتموجات الصوت لحظة استقبالها في أذن المتلقي أو السامع، وكيفية هذا الاستقبال »[5]، أو بعبارة أخرى يدرس طريقة التقاط الأذن للصوت وتحليلها من قبل المستقبل، فيدرس وظائف ومكونات جهاز السمع عند الإنسان مع ما قد يصيبها من اختلال وراثي أو طارئ. ولهذا العلم جانبان « أحدهما: فيزيولوجي، يتعلق

[1] ينظر: الصوتيات العربية والفونولوجيا، منصور بن محمد الغامدي، الرياض، مكتبة التوبة، 1421هـ، ص 13.

[2] ينظر: علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 92.

[3] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 19.

[4] دروس في مقياس الصوتيات، مرجع سابق، ص 03.

[5] علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 153.

بأعضاء النطق وكيفية استقبالها للصوت، والآخر: نفسي، يتعلق بكيفية تحويل الموجات الملتقطة من طرف السامع إلى معاني يتفاعل معها الإنسان عقلا ووجدانا، ونتائج هذا الفرع من علم الأصوات أقل من باقي الفروع، نظرا لصعوبة الوصول إلى جهاز السمع في حد ذاته بسبب صغره، ولتعقيد عملية تحويل الموجات الملتقطة إلى أفكار ومعاني مقارنة مع جهاز النطق »[1].

تلك الجوانب الثلاثة السابق ذكرها تقع في مجال علم الأصوات، وهو المختص بدراستها والنظر فيها دون غيره من فروع علم اللغة، ويتطلب تعدد تلك الجوانب تعددًا في المناهج، ونتيجة لهذه التعدديَّة ظهرت فروع عديدة لهذا العلم، تختلف في أهدافها ووسائلها، ومن أهم تلك الفروع:

- **علم الأصوات الوصفي**: ويبحث في « وصف أصوات لغة من اللغات في مرحلة من المراحل أو زمن من الأزمان »[2].
- **علم الأصوات التاريخي**: ويبحث في أصوات لغة ما، لمعرفة التغيرُّ والتطوُّر الذي أصابها عبر مراحل تاريخية سابقة، لكن بعض اللغويين « يريدون به دراسة التغيرات والتحولات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، ولكن هذه الدراسة للتغيرات التاريخية في الأصوات يمكن أن يطلق عليها كذلك اسم علم الأصوات التاريخي »[3].
- **علم الأصوات المقارن**: ويبحث في « وجوه الشبه والاختلاف بين أصوات لغة ما، وأصوات اللغات الأخرى »[4].
- **علم الأصوات التجريبي أو الآلي**: تتحدد وظيفة هذا الفرع في « إجراء التجارب المختلفة على الصوت، بواسطة الآلات الحساسة الحديثة »[5]، ويبحث في أصوات اللغة، باستخدام المنهج التجريبي، كما يستخدم الأجهزة والآلات الإلكترونية لكشف خصائص

[1] دروس في مقياس الصوتيات، مرجع سابق، ص 03-04.

[2] دروس في النظام الصوتي للغة العربية، مرجع سابق، ص 02.

[3] أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 46.

[4] دروس في مقياس الصوتيات، مرجع سابق، ص 04.

[5] علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 134.

هذه الأصوات، مثل جهاز رسم الأطياف الذي يحدد نوع الصوت وقوته ونغمته، كما يستخدم الحنك الاصطناعي لدراسة الأصوات الحنكيَّة...

المحاضرة الثانية

الصوتيات والفونولوجيا (إشكالية الترجمة)

سبق وأشرنا إلى أن الوحدات الصوتية تدرس في علمين مستقلين، وبمنهجين مختلفين، ولكنهما مع ذلك يتكاملان، ويتعاونان على دراسة الأصوات الإنسانية دراسة علمية، وهما:

- علم الأصوات-الصوتيات La phonétique / phonetics
- علم وظائف الأصوات-الفونولوجيا La phonologie / phonology

إن الفرق بين هذين العلمين هو الفرق بين العام والخاص، ففي حين تكون الأصوات في أي لغة هي مجال علم الأصوات، فإن مجال الفونولوجيا هو أصوات لغة بعينها، أو بالأحرى النظام الصوتي لهذه اللغة، « ولكن الفصل الحاد بين Phonetics وPhonology وهو فصل دعت إليه ودعمته (مدرسة براغ)، إذ اعتبرت العلم الأول (علماً طبيعياً) يستخدم وسائل آلية، واعتبرت الثاني (علماً لغوياً) – ينبغي ألا يؤدي بنا إلى اعتبار كل من هذين علماً مستقلاً لا علاقة له بالآخر »[1].

أما الإشكال القائم ههنا فهو يكمن في عدم اتفاق علماء العربية المحدثين على ترجمة موحدة للمصطلحيْن الأجنبييْن (La phonétique /phonetics) و(La phonologie/phonology)، وذلك بسبب اختلاف المدارس الغربية ومناهجها التي أخذ عنها المترجمون؛ فبالنسبة إلى المصطلح الأول فقد ترجموه إلى: علم الأصوات، علم الأصوات اللغوية، علم الأصوات العام، الصوتيات، علم الصوتيات...، أما المصطلح الثاني فترجم إلى:

- علم وظائف الأصوات (للمرحوم الدكتور: محمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة).
- علم وظائف الأصوات اللغوية (للدكتور عصام نور الدين).
- علم التشكيل الصوتي (للدكتور تمام حسان).

[1] علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السّعران، بيروت دار النهضة العربية، د ت، ص 200.

- علم الأصوات التشكيلي.
- علم الأصوات التنظيمي (للدكتور كمال بشر).
- علم الفونيمات أو الفونيميك.
- علم الأصوات اللغوية الوظيفي (للدكتور محمود السعران).
- علم الأصوات التاريخي.
- الصوتمية/ علم الصوتمية.
- علم الفونيميا.

هذا ويذكر "عصام نور الدين" قائلا: « وقد ارتضينا ترجمة هذا المصطلح بـ (علم الأصوات اللغوية)، وهي ترجمة الدكتور محمد أبو الفرج، وتعريبه إلى (فونيتيكا)، أو (فُونَاتِكس) أو (فوناتيك)، ولم نأخذ بترجمته إلى (علم الأصوات العام) أو (علم الأصوات، أو (علم الصوتيات)، أو (علم الصوتية) دون إيراده معرباً، لأن علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة؛ ولأن الترجمات المقابلة تشير إلى اختلاف المدارس التي صدر عنها المترجمون متأثرين بالمدارس الغربية ومناهجها في تحديد مجال هذا المصطلح ومناهج البحث فيه...، واعلم أننا قد ارتضينا ترجمة هذا المصطلح إلى علم وظائف الأصوات اللغوية، مقروناً بتعريبه إلى (فونولوجيا)، لأنّ علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة له »[1].

وعموما فقد اختلف معنى كل من هذين المصطلحين باختلاف المدارس اللغوية الغربية التي كان لها دور في الدراسات اللسانية، وكذا اختلاف مناهجها في تحديد مجالهما وإطار البحث فيهما، ومنها[2]:

1- مدرسة فرديناند دي سوسير (F De Saussure): وهو أشهر لغوي غربي حتى الآن، حيث جعل الفونولوجيا la phpnologie معنيا بدراسة العملية الميكانيكية للنطق فهو عنده علم مساعد للألسنية، بينما جعل الفوناتيك la phonétique مختصا

[1] علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، مرجع سابق، ص 23-24.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 26-28.

بالبحث التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين فهو عنده جزء أساسي من الألسنية.

2- مدرسة براغ: استعملت الفونولوجيا la phpnologie في عكس ما استعمله فيه "فرديناند دي سوسير"؛ فهو عندها فرع أساسي من ، يعالج وظيفة الظواهر الصوتية اللغوية، أما الفوناتيك la phonétique فقد أخرجه معظم رجال هذه المدرسة من الدراسة الألسنية، واعتبروه علما خالصا من علوم الطبيعة تستعين به الألسنية لكنه ليس جزءا منها.

3- المدرستان الأمريكية والإنجليزية: استعملتا الفونولوجيا la phpnologie لعشرات السنين في معنى (تاريخ الأصوات)، ودراسة التغيرات والتحولات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها؛ ومعنى ذلك أن الفونولوجيا عندهم يكون مرادفا للمصطلح la phonétique historique/ historical phonetics أو للمصطلحDiachronic phonetics /la phonétique diachronique.

أما مصطلح الفوناتيك la phonétique فقد استعمل عند الأمريكيين والإنجليز في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها ويحللها من غير إشارة إلى تطورها التاريخي، وإنما يشير إلى كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها.

فهذان المصطلحان عندهم من صميم علم الألسنية، وإن دخل الأول تحت فروع الألسنية التاريخية، ودخل الثاني تحت فروع الألسنية الوصفية.

4- ظهر تيار من علماء الأصوات رفض الفصل بين الفونولوجيا والفوناتيك، ووضعهما في مصطلح واحد هو (الفوناتيك) عند فئة، أو (الفونولوجيا) عند فئة ثانية؛ فأبحاث كل واحد من هذين المصطلحين تعتمد على الأخرى، فهما متتامان متكاملان ويؤلفان علما واحدا؛ لذلك وضعوا الكلمتين تحت مصطلح واحد إما (الفوناتيك) وإما (الفونولوجيا).

كما ظهر في الغرب مصطلحان جديدان بدل المصطلحين القديمين وهما: phonemics وphonematics نتيجة الخلط والاضطراب واللبس في المصطلحين

القديمين، إلا معظم الألسنيين اتفقوا في هذه الأيام على تخصيص مصطلح (الفونولوجيا) للدراسة التي تصف النظام الصوتي للغة معينة، ومصطلح (الفونيتيك) لدراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها، وعن تجمعاتها في لغة معينة، ودون النظر في وظائفها اللغوية، بل حتى دون معرفة اللغة التي تنتمي إليها هذه الأصوات المستقلة.

المحاضرة الثالثة

الدراسات الصوتية عند العرب

لقد اعتنى العرب باللغة العربية منذ فجر الإسلام، وكان الباعث الأول على هذا الاهتمام البالغ هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف، وعلى الرغم من صفاء سليقتهم العربية وبعدهم عن اللحن، إلا أنه بعد أن انتشر الإسلام في بلاد كثيرة مجاورة لجزيرة العرب، واختلط العرب بغيرهم ممن دخل في الإسلام وتعلم مع الدين لغته، سُمعت بعض مظاهر اللحن في القرآن، مما دعا أولئك الغيورين على دينهم إلى المسارعة إلى وضع السياج والحيلولة بين القرآن وهذه المظاهر، فتدارسوا اللغة مبتدئين بالنحو منها، على أن المقام هنا ليس مقام وضع علم النحو، وإنما التأكيد على أن النشأة كانت لغاية دينية من قراء القرآن الكريم كأبي الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، وعبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب...، حتى انتهت السلسلة إلى "الخليل بن أحمد الفراهيدي" الواضع الحقيقي لأكثر من علم من علوم اللغة.

1- جهود أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ):

إن بداية الدرس الصوتي مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطا مباشرا، وتُنسب أول محاولة في الدراسات الصوتية إلى "أبي الأسود الدؤلي" (ت69هـ) الذي وضع رموزا تقي من الوقوع في أخطاء نطقية أثناء قراءة القرآن الكريم، حيث يروى أنه سمع قارئا يقرأ: (أن اللهَ بريء من المشركين ورسوله) بكسر لام: رسوله، فاستدعى كاتبا وقال له: « إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقُط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممتُ فمي فانقُط نقطة بين يديْ الحرف، وإن كسرتُه فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكَّنْتُ الكلمةَ بالتنوين فاجعل إمارة ذلك نقطتين »[1].

[1] إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي جمال الدين أبو الحسن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1406هـ/ 1986م، ص 40/1.

فهذا العمل قد يبدو بسيطا إذا نظرنا إليه من منظور زماننا، لكنه عظيم إذا انطلقنا من ذلك الزمن حيث كانت الحياة بسيطة، فليس من السهل أن ينتبه شخص إلى فكرة لضبط النطق الصحيح للكلِم آنذاك، وحين نتأمّل كلام "أبي الأسود الدؤلي" نفهم أنه لم يركّز على أواخر الكلم في وضع نقاط الإعراب، فكلامه عام (إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف فانقط نقطة على أعلاه...)، وإنما تركيزه كان على حركة الشفتين وهو جانب فيزيولوجي عضوي تعتمده الصوتيات الحديثة؛ لأنه وصف مباشر قائم على الملاحظة والمشاهدة، وتلك النقاط التي وضعها إنما من أجل الحفاظ على النطق السليم للقرآن الكريم[1].

انطلاقا من هذه القصة المنسوبة إلى "أبي الأسود الدّؤلي" يمكن القول بأن بداية الدراسة الصوتية العربية كانت وصفية، وهي من المباحث التي نجح فيها العرب نجاحا كبيرا، خاصة من حيث المنهج المعتمد في دراستهم للأصوات؛ فهم اعتمدوا على الملاحظة الذاتية للظواهر الصوتية[2]. والمتفحص للقول السابق يدرك أن "أبا الأسود الدّؤلي" قد أدرك بفضل ملاحظته الدقيقة دور الشفتين في نطق الحركات الإعرابية، التي تستند في أساسها على الجانب الفيزيولوجي من الظاهرة الصوتية، وبذلك فإن حركات الإعراب تمثّل العلاقة بين المستويين الصوتي والنحوي في الدرس اللغوي، وهذا ما يثبت عدم استقلالية الدرس الصوتي، كما أنه تنبّه إلى ظاهرة التنوين، وإن لم يطلِق عليها ذلك المصطلح، وهي من الظواهر التي عُنِيَ بها البحث الصوتي الحديث.

إن ما يمكن استخلاصه أن ما قام به "أبو الأسود الدؤلي"، في مجمله مع اختلاف الأسباب والبواعث الداعية إليه، لم يكن إلا تثبيتا للصورة الصوتية المنطوقة المسموعة وتحديدا

[1] ينظر: الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، عبد الفتاح المصري، دمشق، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 15، 1404هـ/1984م، ص 233.

[2] ينظر: مقالات ونقاشات في اللغة، عصام نور الدين، بيروت، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، 1995م، ص 08/1.

لها، وتبيانا لكيفية النطق بها، وعمله هذا يندرج في إطار الطريقة التربوية التعليمية الحديثة المسماة "السمعية البصرية".

2- جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ):

كان علماء العرب يتذوّقون الحروف تذوّقا، ويحاولون تحديد مخارجها بدقة كبيرة، وهذا ما كان يقوم به "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بالضبط، فهو « حين أراد تحديد الأصوات العربية لم يرقه التأليف التقليدي المتمثّل في الألف باء العادية: أ، ب، ت...، ولكنه رأى أن يبتكر نظاما جديدا مبنيّا على فيزيولوجية النطق، وإمكانية جهاز النطق عند الإنسان »[1]، فاهتدى إلى طريقة جديدة نال على إثرها فضل السَّبق، وهي ترتيب حروف اللغة العربية بحسب مخارجها اعتمادا على تذوقها ونطقها وتقدير مواضعها، ولعل الخليل عندما درس أصوات اللغة العربية كانت نيّته تأليف مصنَّف يجمع كلام العرب كلّه، وهذا المصنّف هو معجمه (العين)، الذي أراد أن يبتدئ فيه بالألف باء، لكنه تعذّر عليه ذلك « فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: ا، ب، ت، ث..، وهو الألف لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كَرِه أن يبتدئ بالثاني -وهو الباء- إلا بعد حُجّةٍ واستقصاء النظر، فدبّر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء أَدخلَ حرفٍ منها في الحلق»[2].

اعتمد "الخليل" تقنية فيزيولوجية عقلية للوصول إلى تحديد المخارج تحديدا دقيقا، حيث « كان يفتَح فاه بالألف ثم يُظهر الحرفَ نحو: ابْ، اتْ، اثْ، احْ، اعْ، اغْ، فوجد (العينَ) أدخلَ الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب، ثم ما قَرُبَ منها الأرفعُ فالأرفعُ حتى أتى على آخرها وهو (الميم) »[3]، وعلى ذلك كان ترتيبه لحروف العربية مبنيا على

[1] التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر، القاهرة، دار غريب، 2005م، ص386.

[2] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د-ت، ص 47/1.

[3] المصدر نفسه، ص 04/1.

أساس المخارج، فقدّم المجموعات الصوتية بحسب عمقها في الحلق، ثم تدرّج إلى الشفوية ليختتم بحروف العلة، حيث جاءت هذه المجموعات على الترتيب التالي: ع ح ه غ خ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط ت د – ظ ث ذ – ر ل ن – ف ب م – و ا ى، وهذا التقسيم الصوتي إلى مجموعات لا يختلف كثيرا عما قرره العلم الحديث.

يعد هذا العالِم الجليل من بين العلماء الأوائل الذين كانت لهم الريادة في وضع اللّبنات الأولى في الدرس الصوتي، وذلك راجع إلى توقّد ذهن هذا العلم، وعبقريته الرياضية الفذّة، وطاقاته الفكرية العميقة، التي وجّهها لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ويتضح ذلك جليا في مقدمة معجمه (العين) التي حَظيتْ فيها القضايا الصوتية بستة عشر صفحة، حيث يمكن حصرها في النقاط الآتية[1]:

– ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا.

– اعتبار الراء واللام والنون ذات وضع خاص، وتسميتها حروف الذلاقة لأنها تخرج من ذلق اللسان أي بطرفة أسلته، ولا ينطق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون فقط، وألحق الخليل بهذه الثلاثة الفاء والباء والميم لأنها شفوية، وسحب عليها اسم الذلاقة كذلك.

– تصريحه بأن حروف الذلاقة الستة أسهل من غيرها في النطق، ولذا تكثر في أبنية الكلام، ولا يخلو أي بناء رباعي أو خماسي منها أو من بعضها.

– الحديث عن مخارج الأصوات تفصيلا.

ونشير هنا على أن ما برع فيه الخليل من علوم ليس علم الأصوات فحسب، وليست مقصورة في إيرادها على مقدمة معجمه فقط، إنما هي مبثوثة في ثنايا المعجم كلّه بحسب ما عُرض له من المسائل والفنون، واستقراءه بصورة جيدة يثبت ذلك.

وكان للخليل رؤية علمية دقيقة مكنته من التوصّل إلى تقسيم الأصوات إلى صحيحة ولينة، أي أنه ميّز بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، كما أنه « أدرك العلاقة بين

[1] البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة السادسة، 1988م، ص 94.

الحركات القصيرة والحركات الطويلة، وأدرك أنها علاقة في الكم وليس علاقة في الكيف، فجعل للفتحة ألفا صغيرة فوق الحرف، وللكسرة ياءا صغيرة تحت الحرف، وللضمة واوا صغيرة فوقه، بالإضافة إلى ذلك، فقد وضع علامات صوتية عديدة تعبّر عنها المصطلحات التالية: السكون، الشدة، الوصل، القطع، ... إلخ، وما ساعده على ذلك هو اهتمامه ببحور الشعر وتقعيده للأوزان العروضية، فهو كما نعلم مؤسّس علم العروض. ولم يكتف الخليل بدراسة الصوت معزولاً، بل درس وظيفته دراسة علمية دقيقة، كدراسته لزيادة الألف في الخماسي، والألف واللام للتعريف والإدغام، ...الخ، وذلك يسمح لنا بأن نقول أن "الخليل" درس الأصوات العربية دراسة فونيتيكية وفونولوجية »[1].

لقد أحصى الخليل مواد العربية إحصاءا تاما لم يسبقه إليه أحد، وبذلك هيّأ مادة مصنفة لمن جاء بعده من اللغويين صانعي المعجمات الذين لم يستطيعوا أن يضيفوا شيئا على ما قدّم، فجهوده الصوتية المبهرة تعدّ اللبنة الأولى للدراسات اللغوية والصوتية العربية، بل الأساس الذي انبنت عليه، وهي تقترب إلى حدّ كبير إلى ما توصّلت إليه الدراسات الحديثة، ومن يدري ربما لو كان قد أتيح للخليل أن يشتغل في مراكز ومعامل دراسة الأصوات التي يسّرها العصر الحديث بأجهزتها التكنولوجية المتطورة، لكان قد وصل إلى نتائج أدقّ من هذا، وإنا لنزداد إكبارا له حين نعلم أنه قد سبق إلى ذلك بنحو اثني عشر قرنا من الزمان.

3- جهود سيبويه (ت 180 هـ):

واصل "سيبويه" طريق أستاذه "الخليل" وسار على نهجه، فقد كان له أيضا عقلية علمية ناضجة، وذهن متوقّد صاف، حيث نبغ في الدرس اللغوي الذي بلغ قِمَّته في مؤلّفه (الكتاب)، غير أنه أدلى بالجديد في البحث الصوتي، فمثلا نجده في فكرة الترتيب الصوتي للحروف العربية التي ابتدعها أستاذه «لم يكن مجرد ناقل أو ناسخ، وإنما كان، في كل ما

[1] علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، مرجع سابق، ص 162.

أخذ، صاحب فكر وصاحب اتجاه، فقد أدخل على فكر أستاذه تعديلاً وتطويرًا خالف فيهما رأي أستاذه في كثير من جزئيات هذا الترتيب، ويكفي أن نذكر –في هذا السياق– مخالفته لأستاذه في تصنيف الهمزة وتحديد مخرجها. فقد جعلها سيبويه أول الحروف وأعمقها مخرجًا، فابتدأ بها ترتيبه. ولقد كان –في عمله هذا– يتفق مع اتجاهات الدرس الصوتي الحديث، الذي يقرر أن صوت الهمزة هو أول الأصوات العربية مخرجا»[1].

ويظهر تميّز "سيبويه" في المجال الصوتي بوضوح في الجزء الرابع من (الكتاب)، فمُتفَحِّصُه يدرك أن صاحبه « لم يتناول الأصوات كعلم مستقل بذاته، بل أشار إليه في نسق حديثه عن الإدغام، فالظواهر الصرفية كالإدغام والإعلال والإبدال والقلب ...إلخ، ما هي إلا ظواهر صوتية مؤثرة في صيغ الكلمة العربية، وحتى يدرس النحاة تلك الأبواب الصرفية، كان لزامًا عليهم أن يدرسوا الأصوات العربية ليعرفوا كيف تؤثّر هذه العوامل الصوتية في الصيغ الصرفية»[2]، فقد تناول الأصوات تناولا عاما من حيث الصفات والمخارج، وما يطرأ عليها من أجل الاستعانة بها في دراسة باب الإدغام، وهو ما صرّح به في قوله: « وإنما وصفتُ لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يَحسُن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسُن فيه ذلك، ولا يجوز فيه ، وما تُبْدِله استثقالا كما تُدغِم، وما تُخفِيه وهو بزنة المتحرِّك »[3].

ولقد زخر كتاب "سيبويه" بمصطلحات كثيرة تعبّر عن ماهية العديد من المفاهيم الصوتية، من ذلك أنه بعدما حدّد مخارج الحروف انتقل إلى الحديث عن صفاتها التي

[1] التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث، محمد جواد النوري، تقديم: رمضان عبد التواب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1439هـ/2018م، ص23.

[2] المصطلح الصوتي عند ابن سينا في ضوء الصوتيات الحديثة، نسيمة قسايمي، رسالة ماجيستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامع البليدة، 2013/2012م، ص 25.

[3] الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م، ص 436/4.

يلاحظ في تحديده لها أنه استعمل مصطلحات بعضها يقوم على علاقة تقابلية، وبعضها الآخر يقوم على علاقة أحادية.

فالصنف الأول من المصطلحات كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة ...إلخ، حيث عدّد الحروف المجهورة وأحصاها، وفعل بالمهموسة ما فعله بالمجهورة، ثم وقف عند مصطلحي (المجهورة والمهموسة)، فقال: « فالمجهورة حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومُنع النفس أن يجري فيه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، وأما المهموسة فحرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه »[1]، كما تعرّض للصفات الثانوية كالشدة والرخاوة، فقال: « ومن الحروف (الشديدُ)، وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجريَ فيه ...، ومنها (الرِّخوة)...، وذلك إذا قلتَ: الطَّسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أَجْرَيْتَ فيه الصوت إنِ شئت. وأما (العين) فبيْنَ الرِّخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشَبَهِها بالحاء »[2].أما الصنف الثاني منها فمِثل: (المنحرف)، وهو « حرف شديد جَرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام»[3].

ومن المصطلحات التي كثر تداولها عنده مصطلح (الغُنّة) التي عبّر عنها بقوله: «ومنها حرف شديد يجري معه الصوت، لأن ذلك الصوت غُنّة من الأنف، فإنما تُخرجه من أنفك واللسانُ لازم لمَوْضِع الحرف، لأنك لو أمسكتَ بأنفك لم يجرِ معه الصوت، وهو النون»[4].

فهذه المصطلحات الصوتية وغيرها مما ذكره "سيبويه"، قد تداولها الدارسون وكرّروها لفظا ومعنىً « حتى أولئك المشهورون من شرّاح كتاب "سيبويه" أمثال "السيرافي" و"الرماني"، كانوا يقنعون في شرحهم للأصوات اللغوية بذكر ألفاظ "سيبويه" وعباراته ومصطلحاته كما هي، ويبدو أن العلماء الذين جاءوا بعد "سيبويه" كانوا يعتزّون بكل ما

[1] الكتاب، مصدر سابق، ص 434/4.

[2] المصدر نفسه، ص 434/4-435.

[3] المصدر نفسه، ص 435/4.

[4] المصدر نفسه، ص 435/4.

ورد عنه إلى حد يكاد يبلغ القداسة، فيقال لنا إنَّ بعضًا منهم كانوا يحفظون كتابه عن ظهر قلب، وحين نحسن الظن بهم نرى أنهم ربما تحرّجوا من أي تغيير في كلام مُعلِّمهم الأول، واكتفوا من أجل هذا بترديد ألفاظه»[1].

وعموما فقد كان « تطوير سيبويه لعمل أستاذه المرجع الأساسي، الذي أفاد منه علماء العربية، في مجال الدرس الصوتي، ولم يقتصر أخذ اللغويين عن هذا الشيخ على المادة والفكر العميق الذي ملأ جنبات الكتاب، وإنما تعداه أيضا إلى المنهج الذي سلكه في كتابه والمصطلحات والتعريفات التي كان يستعملها، ويضعها معالم لفكره الثاقب وعلمه الغزير»[2].

4- جهود ابن جنّي (ت 392 هـ):

لقد شكّل العلامة "أبو الفتح عثمان ابن جني" منعطفًا حاسمًا في تاريخ البحث الصوتي، فهو أوّل من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته في كتابه (سر صناعة الإعراب)، كما أنه أول من استعمل مصطلح "علم الأصوات" الذي تستعمله الدراسات الحديثة اليوم[3]، ويعد "ابن جني" الرائد في هذه الدراسة، إذ يصرح بذلك في كتابه قائلا: « وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع »[4].

وترجع قيمة كتابه إلى أنه أصبح مصدرا أساسيا للدراسات الصوتية العربية؛ إذ لا يذكر علم الأصوات إلا مقرونا باسمه، فهو يرشد الدارسين إلى الطريق الصواب في البحث الصوتي، وقد لخص مضمونه في مدخل كتابه، حيث تمثلت أولى خطوات بحثه في تبيين الفرق بين مصطلحيْ (الصوت) و(الحرف)، فالصوت عنده: « عَرَضٌ يخرج مع النفس

[1] التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 24.

[3] البحث اللغوي عند العرب، مرجع سابق، ص 100.

[4] سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، د-ت، ص 56.

مستطيلا متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطعُ أينما عُرِضَ له حرفا »[1].

وبعد فراغه من التمييز بين الصوت والحرف، يعطي تحليلا كاملاً لاشتقاقهما ويبحث في أصل الكلمتين، فيقول بأن الصوت مصدر: صات الشيء يصوت صوتا، فهو صائت، وصوّت تصويتا فهو مصوِّت ...، أما الحرف فهو مشتق من مادة (ح ر ف)، وأينما وقعت هذه المادة في الكلام دلّت على حدّ الشيء، وحدّته. من ذلك حرف الشيء؛ إنما هو حدّه وناحيته[2].

وليس بوسعنا في هذا المقام أنُ نلِمّ بكل المباحث الصوتية التي احتواها كتاب "سر صناعة الإعراب" الذي حدّد صاحبه في مقدّمته منهجه الصوتي، إلا أنه يمكن حصر أهم هذه المباحث فيما يلي[3]:

– عدد حروف الهجاء وترتيبها، ووصف مخارجها.

– بيان الصفات العامة للأصوات، وتقسيمها باعتبارات مختلفة.

– ما يُعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

– نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد، ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

ولا بأس أن نعرض بعض المصطلحات الدقيقة التي استعملها "ابن جني" في نقل أفكاره، بحيث استطاعت أن تُبلِّغ مدلولاتها تبليغا صادقاً، فهو « أوّل من استعمل مصطلح (الصائت) أو (المصوِّت) معتمدا في ذلك ما يعرف في الدرس الحديث باسم (الوضوح السمعي) »[4]، كما تحدث عن مصطلح (الصُّويْت) الذي عبّر به عن ظاهرة تُلاحَظ في

[1] المصدر نفسه، ص 06.

[2] ينظر: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص 09-14.

[3] البحث اللغوي عند العرب، مرجع سابق، ص 100-101.

[4] علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، مرجع سابق، ص 165.

أواخر بعض أصوات العربية حين يُحاوَل النطق بها منفردة، فقال: « ... ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: اِدْ، اِطْ، اِلْ، فلا تجد للصوت منفذا هناك، ثم تقول: اِسْ، اِصْ، اِزْ، اِذْ، اِثْ، اِفْ، فتجد الصوت يتبع الحرف. وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها...، فإنك لا تحسّ معها شيئا من الصوت كما تجده معها إذا وقفتَ عليها، وذلك نحو: يَصْبِر، ويَسلَم...، وإنما كان ذلك كذلك من قبل أنَّ أخذكَ في حرف آخر وتأهبكَ له، قد حالا بينك وبين التلبّث والاستراحة التي يوجد معها ذلك الصويت ... »[1].

واستعمل كذلك مصطلح (الحركات) الذي يقصد به أبعاض الحروف قبل أنَ تبلغ مداها، فإذا بلغت ذلك أصبحت حروفا كاملة، وميّز فيها بين نوعين من الحركات: حركات طويلة وأخرى قصيرة، فقال: « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدّمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة »[2].

فهذه بعض المصطلحات التي وردت في مؤلَّف "ابن جني"، والتي ما تزال تُستثمر في خدمة المباحث الصوتية الحديثة، وتعبّر عن مفاهيمها. وعموما يمكن القول بأن هذا العلم الفذّ قد نهض بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم الفكر الصوتي؛ إذ تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية، فقد فصّل في قضية الأصوات في كتابه (سر صناعة الإعراب) مما جعله من أوائل المبدعين، وخطط لموضوعات الصوت مما اعتبر فيه من المؤصلين المنظّرين.

[1] سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص07.

[2] سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص 17.

5- جهود الخفاجي، والسكّاكي:

أدلى المؤلفون في علوم البلاغة بدلوهم في هذا المجال، وزودونا بمعلومات صوتية ذات قيمة كبيرة، فقد تحدثوا عن الأصوات عند حديثهم عن فصاحة الكلمة، ولاسيما فيما يخل بفصاحتها من تنافر الحروف، وتناولوا أيضا ما يتعلق بتآلفها، وقد استتبع هذا بالضرورة حديثا عن مخارج الحروف، وهل للقرب أو البعد المخرجي دخل في التنافر أو التآلف. وسنقتصر هنا على عرض جهود عالمين فقط من علماء البلاغة هما: الخفاجي، والسكاكي.

أ. جهود ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ):

لقد خصّص "الخفّاجي" في كتابه (سر الفصاحة) فصلا في الأصوات، وأبرز فيه بعض الحقائق الصوتية، فقد ذهب إلى أن الصوت « عرَض وليس بجسم، ولا صفة لجسم، والدليل على أنه ليس بجسم أنه مُدرَك بحاسة السمع، والأجسام متماثلة، والإدراك إنما يتعلق بأخص صفات الذوات، فلو كان جسما لكانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السّمع، وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أن الصوت ليس بجسم »[1].

كما تحدث عن تقارب مخارج الحروف وتباعدها، وما ينجرّ عنها من ائتلاف وتنافر يدركه السامع، فهو في دراسته للأصوات حاول أن يثبت أن حُسن الألفاظ ووضوحها يتجلّى إذا كانت مُؤلفة من الحروف المتباعدة، حيث نجده يَرُدّ على من يرى أن التنافر يقع في البعد الشديد للحروف في مخارجها قائلا: « والذي أذهب أنا إليه ... لا أرى التنافر في بُعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القرب، ويدل على صحة ذلك الاعتبار، فإن هذه الكلمة (ألم) غير متنافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج؛ لأن الهمزة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما، وعلى مذهبه كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافرا؛ لأنه على غاية ما يمكن من البُعد ...، ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم ترى للبعد الشديد وجها في التنافر على ما ذكره، فأما الإدغام والإبدال، فشاهدان على أنّ

[1] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1402هـ/1982م، ص 16.

التنافر في قرب الحروف دون بعدها؛ لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرارا من تقارب الحروف، وهذا الذي يجب عندي اعتماده، لأن التتبّع والتأمل قاضيان بصحته »[1].

وبيّن أن الالتباس في الأشياء أكثر ما يكون في اشتراكها في صفة، حيث يرى أن الوجوه التي يقع فيها الالتباس هي المجاورة أو الحلول، موضّحا ذلك بأمثلة منها قوله في: « التباس خضاب اللّحية بالشعر من المجاورة، وكما التبس على من ظن أن السواد الحالّ في الجسم صفة له من حيث الحلول، وكذلك من اعتقد أن صفة المحلّ للحالّ، حتى ذهب إلى أن للسواد حيزًا، وكلا الأمرين مُنتفٍ في التباس الجسمين، لأنه لا حلول بينهما ولا مجاورة، بل يقع الالتباس مع العلم بتغايرهما...، وليس لأحد أن يقول إذا استدللتم على أن الأجسام متماثلة بالتباسها على الإدراك، فقولوا: إن الأجسام التي لا تلتبس كالأبيض والأسود غير متماثلة لِفقد الالتباس »[2].

وعقد بوجهة نظره هذه مقارنة بأن حمل الصوت على اللون في قوله: « فيكون المختلف من الألوان متضادا دون الأصوات، ولا يوجب الاتفاق في قصر الإدراك على حاسة واحدة التساوي في جميع الأحكام، كما أنها وإن اتفقت عندك في ذلك فلم تتّفق في أن الأصوات تبقى كما أن الألوان تبقى، ولا في أن الأصوات يضادها ما يحدث بعدها، كما كان ذلك في الألوان، وإذ جاز مع التساوي فيما ذكرته من قصر الإدراك على حاسة واحدة الاختلاف في أحكام كثيرة، فأحرّ أن يكون المختلف من الأصوات غير متضاد، وإن كان المختلف من الألوان متضادا »[3]، وهذا القول يتضمن أن الألوان المتضادة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، فمثلا اللون الأبيض أحسن وأوضح إذا جُمِع مع الأسود، وعكس ذلك إذا جُمِع مع الأصفر وذلك لتقاربهما في صفة البياض.

[1] المصدر نفسه، ص 101-102.

[2] سر الفصاحة، مصدر سابق، ص 17- 18.

[3] المصدر نفسه، ص 19- 20.

وما ينبغي أن نشير إليه أنّ "الخفاجي" قد انتهج منهج علماء اللغة السابقين كالخليل وسيبويه وابن جنّي، مع إضافته لبصمات أثبتت له مجهودَهُ الخاص في البحث الصوتي.

ب. جهود أبي يعقوب يوسف السكاكي (ت 626 هـ):

لقد كان للسكاكي أيضا في كتابه (مفتاح العلوم) وقفة في علم الأصوات، إذ تكلّم عن الحروف ومخارجها، فقدم وصفا دقيقا لها، مرفقا إياها برسم توضيحي لتلك المخارج بدءًا بالحلق حتى الشفتين، حيث يعدّ « أول من وضع رسما تقريبيا للجهاز النطقي من علماء العربية، وتعد هذه الالتفاتة إسهاما جليلا في الدرس العربي؛ إذ كان للسانيين العرب المسلمين أثرهم في الدرس اللغوي، كما كان لهم الفضل في الريادة في كثير من الآراء في مجال تصنيف الأصوات ووصفها وتحديد مخارجها نظريا عند الخليل وسيبويه وابن جني، وعلميا عند السكاكي الذي وضع أول رسم تشريحي يبيّن مخارج الأصوات العربية – فيما نعلم– وهذا أمر لم تعرفه الدراسة الصوتية المعاصرة إلاّ حديثا»[1].

وما يثير الانتباه أن "السكاكي" لم يكتف بتقديم الرسم وحده، بل ألحق به تعليقا على تلك المخارج، مشيرا إلى أن النطق السليم الصحيح للأصوات يعتمد على الطبع والذوق السليمين، وإلا اختلفت وجهات نطق هذه الأصوات وتباينت، فعنده « أنّ الحكم في أنواعها ومخارجها على ما يجده كلّ أحد مستقيم الطبع، سليم الذّوق، إذا راجع نفسه واعتبرها كما ينبغي وإن كان بخلاف الغير لا مكان التفاوت في الآلات»[2]، فهذه إشارة إلى إدراكه أن التنوع يصيب الأصوات، إن اختلف طرائق آدائها حتى إن كان ذلك الخلاف يسيرا، وهي « تلميحات للتّنوعات الصوتية المسماة بـ (الصورة الصوتية أو التنوعات

[1] أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين، مشتاق عباس معن، بغداد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون، 1427هـ/2006م، ص 23.

[2] مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م، ص 13.

الصوتية) في الدرس الصوتي الحديث، والتي تزيد وضوحا عند من يتحدث عن الأصوات المستحسنة والأصوات المستقبحة »[1].

إن المتتبع للبحث الصوتي الذي تناوله "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" يرى أنه انتهج نهج سابقيه، غير أنه خالفهم في بعض أحكام الحروف كتحديد مخارجها وصفاتها.

رسم تخطيطي يوضح مخارج الحروف عند السكاكي[2]:

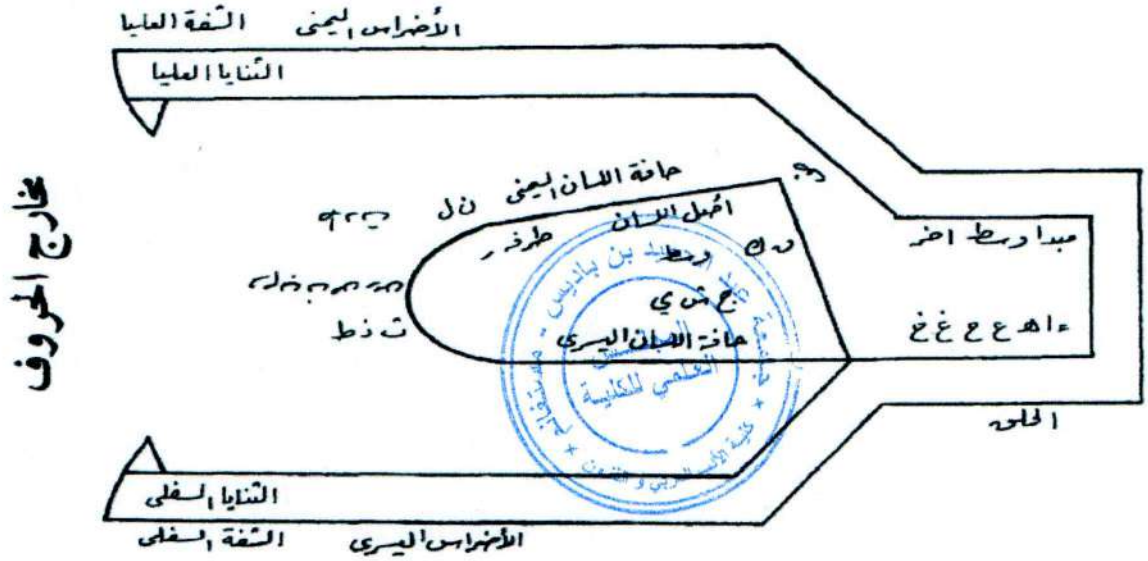

[1] أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين، مرجع سابق، ص 24.

[2] مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 13.

المحاضرة الرابعة

جهود علماء التجويد في الدراسات الصوتية.

لقد زاد علماء التجويد من العناية في الدراسة الصوتية، حيث أتوا على ما سبق أن قاله علماء اللغة والبلاغة، وأضافوا إليه الكثير في بعض الظواهر الصوتية مدفوعين لذلك بكثرة الأمثلة القرآنية، وتعدد وجوه القراءة، وقد أثرى التطبيق على القراءات في مدارسها كثيرا الدراسة الصوتية النظرية. فعلم التجويد « هو العلم الذي يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وما يتعلق بها أفرادا وتركيبا في القران الكريم. وهو ذو صلة وثيقة بعلم القراءات التي هي اختلاف ألفاظ الوحي بالحروف، وكيفياتها من تخفيف وتضعيف وإدغام وإبدال ونحو ذلك، فالقراءات وجوه متعددة في طرائق أداء القرآن الكريم ممثلة لطرائق نطق القبائل العربية...، وعلماء التجويد بيّنوا في مؤلفاتهم الحالات الصوتية المختلفة والتغيرات التي تطرأ على الصوت في أثناء النطق، وأوضحوا حالات الإدغام والغنة وفصلوا القول في حالات الإمالة وبينوا أسبابها وأحكامها،وعرفوا الوقف وذكروا أقسامه وأحكامه،وبينوا ظاهرة المد وأنواعه وأحكامه وغير ذلك من الظواهر الصوتية »[1].

ومن علماء التجويد الذين بذلوا جهودا كبيرة في علم الأصوات، التي هي تطبيق عملي للقراءات القرآنية، نذكر: عبد الله بن كثير المكي (ت 120هـ)، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت 127هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت157هـ)، ونافع بن أبي نعيم المدني (ت 169هـ)، وعبد الله بن عامر الدمشقي (ت 199هـ)، وابن الجزري (ت832هـ) الذي يعد من أغزر علماء التجويد إنتاجا في ميدان التأليف، وبخاصة في علم القراءات، حيث كتب (أصول القراءات)، و(تحبير التيسير في القراءات العشر)، و (النشر في القراءات

[1] جهود علماء التجويد في الدراسات الصوتية، أسعد محمد علي، موقع جامعة بابل. العراق http://www.uobabylon.edu.iq شوهد يوم 2021/10/05، على الساعة 19:25.

العشر)...، وغيرها من الكتب التي درس فيها مخارج الحروف وصفاتها، وما يلحقها في النطق من تغيير.

1- نشأة علم التجويد نشأةٌ صوتية:

إن مصطلح (التجويد) «لم يُعرف بمعنى العلم الذي يعنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في حدود القرن الخامس الهجري، كذلك لم يعرف كتاب ألف في هذا العلم قبل القرن الرابع الهجري، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علما مستقلا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان »[1].

ولعل أول من صنف في علم التجويد، كما يشير "ابن الجزري"[2] هو: "أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحي الخاقاني" (ت 325هـ)، وذلك في قصيدته الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، والتي كان لها أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد؛ فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها، أو شارح موضّح لمعانيها.

ومع أن القصيدة الخاقانية هي أوّل مصنّف مستقلّ ظهر في علم التجويد، إلا أن صاحبها « لم يستخدم فيها كلمة (التجويد)، ولا أيا من الألفاظ الأخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، واستخدم مكانها كلمة (الحُسْنِ) وما اشتقّ من مادتها...، وعدم استخدام "أبي مزاحم" لكلمة (التجويد) في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهورا حينذاك»[3].

ولعل أقدم نص وردت فية كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى يقربُ من معناها الاصطلاحي، هو قول "ابن مجاهد"-أبو بكر البغدادي- (ت 324هـ) مؤلف كتاب (السبعة في القراءات)، وأوّل من استخدم هذا المصطلح بعده هو أبو الحسن –على بن

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الحمد غانم قدوري، عمّان، دار عمار، الطبعة الثانية، 1428هـ/2008م، ص15.

[2] ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري محمد بن محمد، تحقيق: برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1352هـ/ 1933م، ص 321/2.

[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 17-18.

جعفرالسعيدي- المتوفى في حدود 410هـ، صاحب كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)[1].

ويمثل القرن الخامس الهجري التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد، حتى أن أعظم مؤلفات التجويد قد ظهرت في هذا القرن، من أشهرها كتاب (الرعاية) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) الذي أشار إلى أنه لم يسبقه أحد إلى مثل تأليفه قائلا: « وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها، ولا ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته »[2]، وكتاب (التّحديد) لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ) الذي أشار فيه إلى ما يقرب من إشارة "مكي" عن كتابه من انعدام المؤلفات في علم التجويد في وقتهما، حيث قال: « أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه، وحث نبيه (ص) وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل »[3].

هذا في الوقت الذي كان للُّغويين والنحاة دراسات في الأصوات العربية ابتداء من القرن الثاني. أما كتب القراءات القديمة التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث فإنه لم يصل إلينا منها شيء يذكر، وأقدم كتاب وصل إلينا من كتب القراءات هو كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت324هـ) الذي حققه الدكتور شوقي ضيف، ولا نجد في هذا الكتاب أبوابا مستقلة تعالج موضوع الأصوات العربية، وإنما جاءت الملاحظات الصوتية متناثرة في ثناياه[4].

---

[1] ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 16، 18.

[2] ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، عمّان، دار عمار، 1393هـ/1973م، ص42 .

[3] التحديد في الإتقان والتجويد، الداني الأندلسي، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، عمّان، دار عمار، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ص 22.

[4] ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، الفضلي عبد الهادي، بيروت، دار القلم، الطبعة الثانية، 1980م، ص 27 وما بعدها.

بعد ذلك قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

2- غاية وهدف الدراسة الصوتية بين علماء التجويد وعلماء اللغة:

لقد سبق علماء العربية علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، وإن كان الباعث إلى ذلك واحدا وهو حفظ القرآن الكريم من اللحن، إلا أنّ دراسة الأوائل كانت « ترتبط بأغراض معينة في الأبحاث التي كانوا يبحثونها، ولم تكن تتبّع نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية، وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق »[1]. فمثلا "الخليل" في معجمه (العين)، كانت دراسته للأصوات لأغراض تتعلق بالمعجم وتنظيمه وبالكلمات وأبنيتها، فانشغاله بترتيب الحروف في أول المعجم، وتقديمه طريقة لاختبار مخارجها كان لتوضيح منهجه الذي سار عليه في الكتاب. و"سيبويه" الذي تناول الأصوات في باب الإدغام بغرض توضيح أحكامه، ومواضع استحسانه، وغير ذلك مما يتعلق به بمباحثه...

أما علماء التجويد فإن دراستهم للأصوات كانت مرتبطة بشكل أساسي « بمعالجة ما سمّوه باللحن الخفي، فقد قسّموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجليّ، وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النحاة والصّرفيين. واللحن الخفي، وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جرّاء عدم توفِيَتها حقوقها من المخارج أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وهو يستلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أمور: مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكامها التركيبية. وهذه هي عناصر علم التجويد الأساسية »[2].

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 46.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 47-48.

فملاحظة اللحن الخفي – الذي لا يعرفه إلا المقرئ المتقِن الضابط – في قراءة القرآن، ومحاولة معالجته وتقويم خلله كانت السبب الذي يقف وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ودراسة أصوات اللغة وتحديد صور نطقها الصحيحة، حيث رصدوا الانحرافات المتوقعة في نطقها، ليحترز الناطق منها ويجتنبها، فتحققت بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة عند علماء التجويد لم تتحقق عند غيرهم.

3- تميّز علماء التجويد في الدراسات الصوتية ومنهجهم فيها:

على الرغم من استناد علماء التجويد على جهود سابقيهم من علماء العربية وعلماء القراءة، إلا أنه كانت لهم إضافات قيمة جعلتهم يتمتعون بالتميّز والاستقلالية في بحوثهم الصوتية، واعتمادهم المنهج المناسب في دراسة الأصوات.

أ- تميّزهم واستقلاليتهم في الدراسة الصوتية:

جاء عمل علماء التجويد متميزاً، وذلك بالنظر إلى أصوات اللغة نظرة شاملة، إذ « لا يمكن أن نعدّه جزءا من تلك الجهود، وإنما جاء عملا شاملا للدرس الصوتي، أما علماء العربية فإنهم عالجوا الموضوع في إطار الدرس الصرفي، وهو أمر تجاوزه علماء التجويد....، أما علماء القراءة فإنهم كانوا مشغولين برواية النص القرآني الكريم، وضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة، حتى تنتهي إلى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النّبي صلّى الله عليه وسلّم »[1].

كما أنه « لا يمكن أن تعد الكتب التي ألفها القرّاء في وصف القراءات القرآنية بدءا للتأليف في علم التجويد؛ لأن علم القراءة وعلم التجويد، وإن كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج، أما الموضوع فإن علم التجويد لا يعنى باختلاف الرواة بقدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء، وأما المنهج فإن كتب القراءات كتب رواية، وكتب التجويد كتب دراية، تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها »[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص 21.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص21.

وقد العديد من العلماء الفروق بين علم التجويد وعلم القراءات بما لا يتسع المقام لذكره هنا، حيث سنقتصر على ما قاله "محمد المرعشي" (الملقب: ساجقلي زادة، ت1150هـ): « اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد، لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا: يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة (يعرف) فخّمها فلان ورقّقها فلان، وبهذا يندفع ما عسى أن يقال علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف كالإدغام والإظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد »[1].

ولا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، أو أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها، إنما الواقع هو أن قراء القرآن كانوا يُعْنَونَ غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ، وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصحابة، وهلم جرا حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المتبعة عند العرب في نطق لغتهم؛ فأصول علم التجويد و قواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق. فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة، كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان[2].

وقد قام علماء التجويد بتأليف كتب مستقلة لبحوثهم الصوتية جمعوا فيها ما تبعثر من مباحث صوتية في كتب النحو والصرف والقراءات، وأضافوا إليها ما جعلها تشكل علما مستقلا، وميزوها بتسمية جديدة مبتكرة هي (علم التجويد)، فتميزت بذلك شخصية هذا العلم، وصار الناس يرجعون في الدراسات الصوتية إلى أهل هذا العلم ومؤلفاتهم.

[1] ترتيب العلوم، المرعشي محمد، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي، 1404هـ/ 1984م، ص64-65.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 23.

ب– منهجهم في الدراسة الصوتية:

يمكن أن نتبيّن ملامح منهج علماء التجويد في دراستهم للأصوات من قول "الحسن بن قاسم المرادي" في كتابه (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) الذي لخّص فيه هذا المنهج، وهو: « إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور: أحدها: معرفة مخارج الحروف، والثاني: معرفة صفاتها، والثالث: معرفة ما يتجدّد لها بسبب التركيب من الأحكام، والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار. وأصل ذلك كله وأساسه تَلَقِّيه من أولي الإتقان، وأَخذُه من العلماء بهذا الشأن، وإن اِنضاف إلى ذلك حسن الصوت وجودة الفَكِّ ودرابة اللّسان، وصحّة الأسنان كان الكمال »[1]، ومنه نستنتج أن منهج علماء التجويد في الدراسة الصوتية هو منهج شامل لمختلف المباحث المتعلقة بعلم الأصوات، وهو منهج صوتي خالص لم تختلط فيه الدراسة الصوتية بما عداها من الموضوعات اللغوية الأخرى، حيث تناول الموضوعات التالية[2]:

1. إنتاج الأصوات اللغوية وتقسيمها، ويتضمّن ذلك دراسة آلة النطق، ومخارج الأصوات وصفاتها.

2. دراسة ما ينشأ عنها من الأحكام، أي الظواهر الصوتية، عند تركيبها في الكلام المنطوق. وشمل أيضا دراسة موضوعات تكميلية هي:

أ. رسم منهج تعليمي للأصوات يتمثّل في التلقّي المباشر عن المعلّم المتقِن أولا، ثم التدريب المستمر على نطق الأصوات ثانيا، وهو ما عبّر عنه علماء التجويد برياضة اللسان. مع إخضاع ذلك المنهج التعليمي لإطار نقدي متعدد الاتجاهات، يتمثل في أن القاعدة المدوّنة في الكتب تحرس الأداء عن الانحراف في النطق من جانب، وأن الدراية تعمل على

[1] مخطوطة شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، المرادي حسن بن قاسم بن عبد الله، مكتبة جامعة الملك سعود، السعودية، ص 02.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق، ص 64.

تدقيق القاعدة المدوّنة، والسموّ بها دائما نحو الدقة في وصف جوهر العملية النطقية المراد التعبير عنها. **ب.** معالجة عيوب النطق أو أمراض الكلام.

وهكذا عزز علماء التجويد ما وصلوا إليه من دراسة للأصوات بمزيد من التطبيق على كتاب الله، فإذا عرفنا أن "القراءة سنة متبعة"، وأن التلميذ يأخذها بنطقها الصحيح بعد تعلم أحكامها نظريا من معلم إلى أن تنتهي السلسلة بمحمد صلى الله عليه وسلم، عرفنا أن الخدمة التي قدّمها علماء التجويد وقراء القرآن للغة عامة، وللأصوات خاصة لا يعدلها خدمة، فقد جمعت إلى حفظها للأصوات ومستواها الثقة في روايتها ونقلها، وأصبحت المادة العلمية التي دونوها وتوصلوا إليها خير معين لدارسي الأصوات العربية.

المحاضرة الخامسة

تقسيم الأصوات وترتيبها عند العرب

تميّز الدرس الصّوتي عند علماء العربية بالمنهج الوصفي، معتمدين الملاحظة الذاتية والتجربة الشخصية، فتمكّنوا من تحليل أصوات اللغة العربية تحليلا وصفيا علميا دقيقا، فقاموا بتقسيمها وترتيبها وفق طرق معيّنة، وكذا تحديدها مخرجا وصفة مكتفين بهاتين الدعامتين لتحديد ومعرفة جماليات الصّوت التعبيرية التي تميّزه عن باقي الأصوات اللغوية الأخرى سواء أكانت مفردة أم داخل النسق الصّوتي.

1- تقسيم الأصوات العربية:

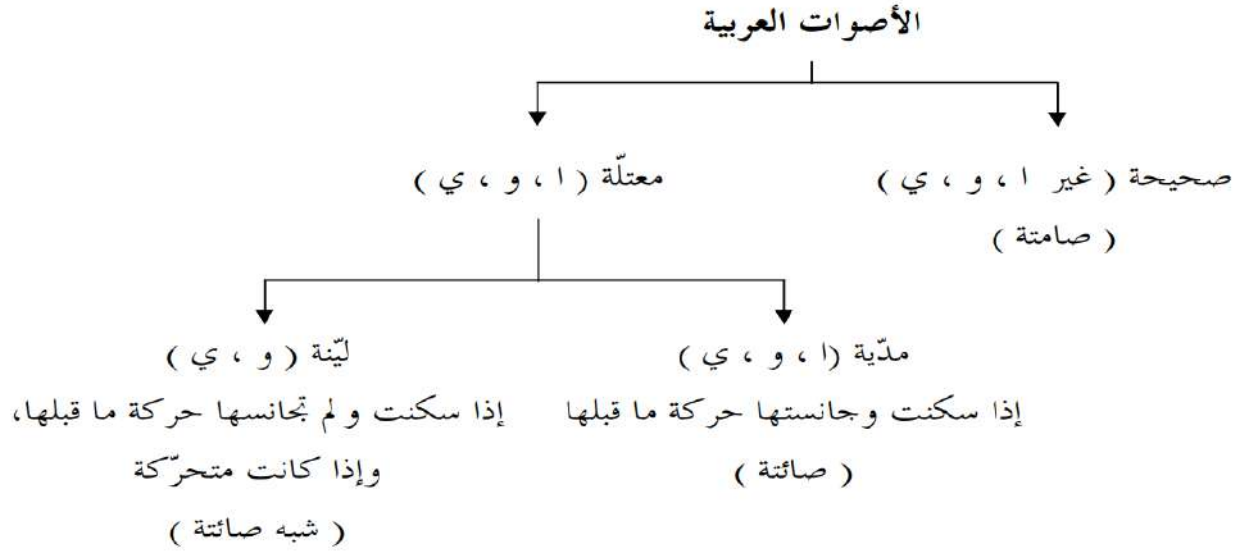

-أقسام حروف اللغة العربية-

قسّم العرب الحروف العربية إلى قسمين هما[1]: الحروف الصحيحة: وهي ما عدا (الألف والواو والياء)، والحروف المعتلة: وهي (الألف والواو والياء).

كما فرّقوا بين حالتي حروف العلّة وهما: حروف المدّ: (الألف والواو والياء) إذا سُكِّنتْ وجانستها حركة ما قبلها مثل: (قال)، (يقول)، (يبيع)، والألف لا تكون إلا كذلك أصلا. وحرفا اللين: وهما (الواو والياء) إذا سُكِّنتا بعد غير ما يجانسها مثل: (قَول)، (بَيع)، أو كانتا متحرّكتيْن مثل: (وَعد)، (يَبس).

[1] دروس في النظام الصوتي للغة العربية، مرجع سابق، ص 06.

وتسمى الحروف الصحيحة بالأصوات الصامتة، وحروف المد مع الحركات الثلاثة (الفتحة والضمة والكسرة) بالأصوات الصائتة، ويسمى حرفا اللين بشبه الصائتة.

والأصوات شبه الصائتة تلحق عادة بالأصوات الصامتة في بحث مخارج الأصوات وصفاتها، أما الأصوات الصائتة فتُبحث مستقلة في هذا الشأن؛ فالصوت الصائت ليس له مكان نطق محدّد، بخلاف الصامت وشبه الصامت، فلهما مكان نطق محدّد.

إن **الصامت**: هو الذي ينحبس الهواء في أثناء النطق به في أي منطقة من مناطق النطق انحباسا كليّا أو جزئيّا. و**الصائت**: هو الذي ينطلق معه الهواء انطلاقا تاما، بحيث لا يعوقه عائق في أي منطقة من مناطق النطق. أما **شبه الصائت**: فهو الذي لا ينحبس معه الهواء لا جزئيا ولا كليا، ولا ينطلق انطلاقا تاما، فمجراه فيه ضيق لا يصل إلى درجة الانحباس.

2- ترتيب الأصوات العربية:

سبق أن عرفنا أن الخليل وسيبويه كانا دقيقيْ الحسّ، حيث أعطى الأوّل لترتيب الأصوات طابعا جديدا، لم يسبقه أحد إليه؛ فرتّب الأصوات بحسب مخارجها لإصدار صوت ما، ثم بحسب مدى وقع هذه الأصوات في الأذن، وقد اتبع في تقييد المادة وضبطها وسائل استفاد منها الخلف، وما زالت مقبولة إلى يومنا، وقد سار الثاني على نهجه.

رتّب "الخليل" الأصوات في نظامه الذي ابتدعه على النحو التالي: « العين الحاء الهاء الخاء الغين، القاف الكاف، الجيم الشين الضاد، الصاد السين الزاي، الظاء الثاء الذال، الراء اللام النون، الفاء الباء الميم، الواو الألف الياء الهمزة »[1].

وكان هذا العالِم قد فكّر في ترتيب مادة كتابه (العين)، وأراد أن يجعلها على الترتيب الهجائي الشائع المعروف، فبدأ بالهمزة فلما وجد صورتها تتغيّر كره البدء بها، وكذلك لم يبدأ بالألف ولا الهاء، وقال في علّة ذلك: « ولم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ولا فعل إلاّ زائدة أو

[1] كتاب العين، مصدر سابق، ص 09/1.

مبدلة، ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيّز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفيْن، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف »[1].

ولئن كان مبدأ ترتيب الأصوات عند الخليل وسيبويه واحدا، فإن الثاني صنّف الأصوات تصنيفا مغايرا لتصنيف أستاذه، حيث بدأ بالهمزة وختم بالواو، وقال أن الهمزة: «... نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا »[2]، فرتّب الأصوات على الشكل التالي: « الهمزة، الألف، والهاء، والعين، والحاء، الغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللاّم، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو »[3]، كما نلاحظ أن هناك تقديما وتأخيرا في بعض الأصوات موازنة بين تصنيفه وتصنيف أستاذه.

وقد تبع "سيبويه " في ذلك "ابن جني"، إلا أنه خالف أستاذه في ترتيب أصوات الصفير (السين، والزاي، والصاد)، وتقديم الهاء على الألف، حيث يعلّل "سعيد النعيمي" هذا الاختلاف قائلا: « أما تقديم الهاء على الألف، فالراجح أنه من عمل النسّاخ؛ لأن "ابن جني" نصّ على أن الألف مقدمَّة على الهاء عند سيبويه، أما الاختلاف في ترتيب حروف الصفير فناجم من أحد أمرين: الأول: إما أن يكون أيضا من عمل النسّاخ، الثاني: أن يكون "سيبويه" أو "ابن جني" قد أحسّ بأن الثلاثة من مخرج واحد لا يتقّدم أي منها على الآخرين، والفرق بينهما في الصفة؛ فالزاي من مخرج السين إلاّ أنها مهجورة، والسين مهموسة، والصاد من مخرج السين، وهي مهموسة أيضا، إلاّ أنها تختلف عن السين بالإطباق »[4].

والملاحظ أن "سيبويه" قد أضاف إلى هذه الحروف الأصول فروعا أخرى، فقال: «وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هنَّ فُروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة

[1] كتاب العين، مصدر سابق، ص 18/1.

[2] الكتاب، مصدر سابق، ص 548/3.

[3] المصدر نفسه، ص 431/4.

[4] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، العراق، دار رشيد للنشر، 1980م، ص 301.

يؤخذ بها، وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار... »[1]، وهي: **النون الخفية**: هي نون الإخفاء قبل حروف الفم مثل إن شاء. **الهمزة التي بين بين**: وهي همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة، فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية نحو: أأنت قلت هذا. **الألف الممالة إمالة شديدة**: والمقصود به الألف الجانحة نحو الياء، (الضحى، سجى). **ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز**: (الصلاة، الزكاة). **الشين التي كالجيم**: كلمة (أشدق) كأنها (أجدق). **الصاد التي كالزاي**: كلمة (مصدر).

فالحرف عنده بهذا الشكل لا يتوقّف عند ذلك الرمز الكتابي الثابت المتواضَع عليه، بل يتعّداه إلى وحدات أداتية مختلفة تعادل في الدراسات الفونولوجية مصطلح (الفونيم)، واهتمام القدامى بهذه الفروع قد يكون له دخل كبير في ظاهرة الانسجام الصّوتي. ثم يواصل سيبويه حديثه عن هذه الفروع فيقول: « وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيَّته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر...، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء »[2]، وأمثلتها على الترتيب: **الكاف التي بين الجيم والكاف**: إن الفعل الماضي (كمل يصير عند النطق على طريقة هذ الكاف (جمل). **الجيم التي كالشين**: كلمة (اجتمعوا) التي تصير إلى (اشتمعوا). **الضاد الضعيفة**: تنطق عندما تصير الثاء ضادًا ضعيفة مثل:كلمة (أثر) التي تعتبر (أضر). **الصاد التي كالسين**: (صابر/سابر، صراط/ سراط). **الطاء التي كالتاء**: مثل كلمة (طال) التي تصير إلى صورة (تال). **الظاء التي كالثاء**: مثل كلمة (ظالم) تصير (ثالم). **الباء التي كالفاء**: مثل كلمة (برزده) أصبحت عند تعريبها (فرزدق).

وهذه الأصوات التي حصرها "سيبويه" بجيّدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، فلا تتبيّن إلاّ بالمشافهة، وقد اتجه في استنباط الأصوات من الحروف، وإنما ذهابه في هذا المنحى

[1] الكتاب، مصدر سابق، ص 432/4.

[2] المصدر نفسه، ص 432/4.

راجع إلى اعتباره الحرف والصّوت شيئا واحدا شأنه في ذلك شأن غيره من اللغويين، إلى أن جاء "ابن جني" في القرن الرابع بفكرة الفرق بين المصطلحين.

المحاضرة السادسة

أعضاء جهاز النطق البشري ومخارج الأصوات

أولا: أعضاء النطق:

ليس للإنسان جهاز خاص بالنطق كغيره من الأجهزة الخاصة (الجهاز السمعي، والجهاز البصري، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي...)، ولكن عملية النطق وإصدار الأصوات عنده تحتاج إلى اشتراك كثير من الأجهزة والأعضاء مما لها وظائف حيوية أخرى مهمة لحياته غير النطق، كالتنفس، ومضغ الطعام، وتذوّق الأشياء، وشمّ الروائح...، وغير ذلك مما لا تستمرّ الحياة بدونه. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن وظيفة هذه الأعضاء النطقية ما هي إلا وظيفة ثانوية، وأن تسميتها بجهاز النطق هي تسمية مجازية، لكن « العلم قد أثبت اليوم أن أعضاء آلة النطق، وما يتّصل بها مخلوقة ومكيّفة للقيام بوظيفة النطق إلى جانب الوظائف الأخرى التي تقوم بها »[1].

1- مفهوم جهاز النطق:

مما سبق يمكن القول بأن مصطلح "جهاز النطق" يطلق على مجموعة أعضاء من جسم الإنسان، تنتمي في الأصل لأجهزة فيزيولوجية أخرى تؤدّي فيها وظائف حيوية محددة (كانتماء الرئتين والقصبة الهوائية والأنف لجهاز التنفس)، ولكن لما تضافرت هذه الأعضاء في القيام بعملية النطق التي هي وظيفة أساسية لديها كبقية الوظائف الأخرى، شكّلت جهازا أطلق عليه: جهاز النطق، أو أعضاء النطق، أو الجهاز الصوتي، أو آلة النطق عند علماء التجويد.

2- أعضاء الجهاز النطقي:

يتكوّن جهاز النطق الإنساني من ثلاثة أقسام رئيسية[2]:

- أعضاء التنفس: التي تقدّم الهواء الجاري المطلوب لإنتاج معظم الأصوات اللغوية.

---

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، ص 47.

[2] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 100.

– الحَنجرة: التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام، وتعدّ بمثابة صمّام ينظّم تدفّق تيار الهواء.

– التجاويف فوق المزمارية: التي تقوم بدور حجرات الرنين، وفيها تتم معظم أنواع الضوضاء التي تستعمل في الكلام.

ومنه يمكن تحديد هذه الأعضاء بالتفصيل كما يلي:

أ. أعضاء التنفس أسفل الحنجرة:

وتتكون من: الرئتين، والقصبة الهوائية، والحجاب الحاجز.

1) الرئتان: تقع في تجويف الصدر، ويفصلهما عن تجويف البطن غشاء الحجاب الحاجز، وترتبطان بالقصبة الهوائية التي تنتهي في أعلاها بالحنجرة[1]. وهما تشبهان (المنفاخ)، فعند الشهيق يزداد حجمهما وتتمدد عضلة الحجاب الحاجز إلى الأسفل، ويتسع القفص الصدري، أما الزفير فهو عملية سلبية لا تتطلب جهدا عضليا، بل هي مجرد رجوع عضلة الحجاب الحاجز إلى وضعها الطبيعي، « وهذا الهواء المزفور إلى الخارج يساعد على إحداث الصوت اللغوي عند المتكلّم »[2].

2) القصبة الهوائية: هي أنبوبة مكوّنة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف، متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي مخاطي. وقطر القصبة الهوائية يتراوح بين 2 سم و2.5سم، وطولها حوالي،11سم[3].

3) الحجاب الحاجز: عبارة عن غشاء عضلي مرن يفصل تجويف الصدر عن الأحشاء في النصف الأسفل من جسم الإنسان[4]، ووظيفته أنه يتمدد ويتقلص وينبسط، فينشا عن ذلك الزفير والشهيق على مستوى الرئتين.

---

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 49.

[2] علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 53.

[3] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 100.

[4] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 49.

ب. الحَنجرة: وهي تجويف يتسع نسبيا، ويقع في نهاية القصبة الهوائية، ويشمل ثلاث غضاريف، وعضلتان هما الوتران الصوتيان، وهي[1]:

1) الغضروف الحلقي: سماه "ابن سينا" (المكبى)، أما المحدثون فيطلقون عليه (الحلقي) لشبهه بالحلقة لاستدارته استدارة تامة، في حين لا تكتمل استدارة باقي الغضاريف، وهو بمثابة رأس للقصبة وقاعدة للحنجرة.

2) الغضروف الدرقي: يطلق عليه "ابن سينا" (الترسي)، إذ شكله يشبه الترس، فهو غير مستدير من الخلف وعريض بارز من الأمام، وينتهي بجزء ظاهر البروز يسميه الغربيون (تفاحة آدم).

3) الغضروفان الهرميان: وهما على شكل هرم ومن ثم جاءت التسمية، ويقعان خلف الغضروف الدرقي، ويتصل بهما الوتران الصوتيان اللذان يشكلان امتدادا لهما.

4) الوتران الصوتيان: يمثلان أهم عضو في الجهاز النطقي، وهما في الحقيقة ليسا وترين إنما هما شفتان أو شريطان من العضلات، يتصلان من حيث الموقع بالغضروفين الهرميين إلى الأسفل، وهما رباطان مرنان يشبهان الشفتين، وعضلتان متوازيتان تمتدان في تجويف الحنجرة أفقيا من الخلف إلى الأمام، حيث يلتقيان عند البروز الناشئ المسمى (تفاحة آدم)، ويبلغ معدل طول الوترين عند الإنسان البالغ 23ملمن وقد يصل أحيانا إلى 27 ملم. وللوترين عدة أوضاع مختلفة، وبتقاربهما وتباعدهما تتحدد صفة الصوت من الجهر والهمس، وحين ينفتحان يسمى الفراغ الذي بينهما (مزمارا)، وغطائهما يسمى (لسان المزمار).

ولسان المزمار: هو غضروف يشبه صفيحة رقيقة تستخدم بمثابة صمام يسد طريق التنفس أثناء عملية بلع الطعام، وليس له دخل في عملية التصويت، ويسميه "ابن سينا" (بعديم الاسم).

[1] ينظر: علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 56-60. ودراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 101-103. المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 50-55.

لقد خفي عن القدماء هذا العضو (الوتران الصوتيان)، فلم ينسبوا إليه صفة الجهر والهمس. ويذكر أن "ابن سينا" هو أول من تنبّه إلى الغضروفين الهرميين، ولكنه لم يتنبّه إلى اتصال الوترين الصوتيين بهما.

ج. **التجاويف فوق المزمارية**: وهي تشمل[1]:

1) تجويف الحلق: هو التجويف الواقع بين الحنجرة والفم، وهو فراغ رنّان يضخّم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة، وفضلا عن ذلك فهو مخرج لعدة أصوات.

ويختلف الحلق عند المحدثين عن الحلق عند القدماء. فالمحدثون ينسبون للحلق صوتين فقط هما: الحاء والعين، بينما يجعل القدماء للحلق ستة أصوات، ويقسمونه إلى مواضع ثلاثة (أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه) كل واحد منها لصوتين، وهذا يعني أن الحلق عند القدماء يمتدّ من جزء من الحنجرة وهو الوتران الصوتيان، ثم الحلق بالمفهوم الحديث، ثم أقصى الحنك، وهي مساحة واسعة مقارنة بالمساحة التي يعينها الفهم الحديث للحلق، فوسط الحلق عند القدماء هو كل الحلق عند المحدثين.

2) تجويف الفم: وهو التجويف الأكبر الذي يضم أكثر أعضاء النطق، « فهو يبدأ من نهاية تجويف الحلق العليا عند مؤخرة اللسان المقابلة للهاة، وينتهي بالشفتين »[2]، ويضم الأعضاء التالية:

2)1. اللسان: هو أكبر أعضاء النطق حركة؛ إذ ينطلق من وضع إلى أخر، فيُكيِّف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وقد قسّم أغلب المحدثين اللسان إلى ثلاثة أقسام: أقصى اللسان ، ووسط اللسان ، وطرف اللسان، أما "سيبويه" فقسمه إلى أربعة أقسام هي: أقصى اللسان، ووسطه، وحافته (جانبه)، وطرفه، حيث أولى حافة اللسان أهمية لدى نطق صوتين هما: الضاد، واللام. ونظرا لأهمية اللسان في عملية النطق أطلقت الكثير من اللغات اسمه على علم اللغة (اللسانيات) أو (علوم اللسان).

---

[1] ينظر: علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، مرجع سابق، ص 63-73. ودراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 104-110.

[2] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 57.

2)2. الحنك الأعلى (سقف الفم): هو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة، ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك تتكون مخارج الأصوات، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- الطبق: (أقصى الحنك أو الحنك الرخو/اللين): وقد أطلق عليه القدماء تسمية (الحفاف)، وهو قطعة من اللحم متحركة تنتهي بزائدة لحمية هي اللهاة، وحركة الحنك اللين مع حركة مؤخر اللسان يؤثر في مخرج الهواء، فيكون له أثر في إنتاج عدد كبير من الأصوات بضيقه أو انسداده.

واللهاة: هي « لحمة مسترخية في آخر سقف الفم تقابل أقصى اللسان، ولها القابلية على التصعّد و الانخفاض، مع ما يحيط بها من الحنك الليّن، فتسدّ مجرى النفس إلى الأنف أو تفتحه »[1].

ب- الغار: (وسط الحنك أو الحنك الصلب): ويسمى بذلك تشبيها له بالغار؛ لأنه شديد التقعر، وهو المنطقة الصلبة من سقف الفم، وتقع بين الحنك الرخو (الطبق) واللثة، وهو جزء عظميّ صُلب مبطّن بنسيج لحمي ليّن.

ج- اللثة: (مقدم الحنك): وهي لحم على أصول الأسنان، أو اللحم الذي فيه منبت الأسنان، وقد عرفت عند القدماء بأصول الثنايا.

2)3. الأسنان: من أعضاء النطق الثابتة، ويقسّمها علماء الأصوات إلى قسمين: عليا وسفلى،. أما "سيبويه" فقد قسّمها أثناء حديثه عن المخارج إلى: الثنايا، الرباعيات، الأنياب، الضواحك، والأضراس. ويعتمد اللسان عل الأسنان في نطق الدال والتاء. كما تعتمد عليها الشفة السفلى أثناء النطق بالفاء.

2)4. الشفتان: هما عضوان متحركان يلعبان دورا هاما، ودور الشفة السفلى أهم من العليا، والشفتان قد تنفرجان أو تستديران أو تنطبقان أو تنفتحان، فينتج عن ذلك خروج العديد من الأصوات.

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 57.

3) التجويف الأنفي: هو فراغ يمر فيه الهواء عند انخفاض الطبق، ووظيفته أنه يشكل فراغا رنانا يعمل على تضخيم بعض الأصوات عند النطق، وقد أطلق عليه القدماء تسمية (الخياشيم)، كما أنه مخرج لبعض الأصوات الخاصة، حيث « يشترك في إنتاج أصوات الغنة، وهي: النون والميم، التي تتكوّن حين ينخفض الحنك اللين، ويندفع الهواء خلال التجويف الأنفي بعد قيام عارض في مجرى النفس في الفم »[1].

ثانيا: مخارج الأصوات العربية:

عرَّف اللغويون (مخرج الصوت) بأنه « موضع ينحبس عنده الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت »[2]، وموضوع مخارج الأصوات ودراستها من أهم مباحث علم الأصوات اللغوية أو الصوتيات العربية الذي حظي بعناية علماء العرب، حيث يعد "الخليل بن أحمد" (175هـ) أوّل من استخدم الألفاظ: حيز ومدرج ومخرج، حيث قال: « في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانًا مدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللّينة، والهمزة، وسمّيت جوفًا؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إلا الجوف»[3]، واستخدم كلمة (مخرج) أقل من الأوّلَيْن. أما "سيبويه" فإن كلمة (المخرج) هي المستخدمة لديه أكثر من غيرها، حيث ترددت عنده كلمتا (حَيّز) و(موضع) على نحو أقل، بينما تبنّى علماء التجويد مصطلح سيبويه (المخرج).

وقد جعل "الخليل بن أحمد" للأصوات في العربية تسعة مخارج، بينما جعلها سيبويه (189هـ) ستة عشر مخرجاً، ولا يختلف "ابن جني" (375هـ) كثيرا عما قاله "سيبويه" إلا

---

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 59.

[2] الأصوات اللغوية، زين كامل الخويسكي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1429هـ/2008م، ص 137.

[3] العين، مصدر سابق، ص 57/1.

في حديثه عن الضاد، حيث يقول: « إلا أنك إن شئت تكلّفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلّفتها من الجانب الأيسر. أو من كليهما معاً »[1].

وعموما، فإن مخارج الأصوات عند "الخليل" هي على النحو الآتي:

« فالعين والحاء والهاء والغين والخاء حلقية، لأن مبدأها من الحلق.

والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأها من اللهاة.

والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي مَفرج الفم.

والصاد والسين و الزاء أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مُستدَقّ طرف اللّسان.

والطاء والتاء والدال نِطْعيّة، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

والظاء والذال والثاء لِثَويّة، لأن مبدأها من اللِّثة.

والرّاء واللاّم والنّون ذلقيّة، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللّسان.

والفاء والباء والميم شفويّة، لأن مبدأها من الشَفَة.

والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مَدْرَجَتِهِ وموضعه الذي يبدأ منه »[2].

أما المخارج عند "سيبويه"، وهي الأشهر التي اعتمدها جمهور علما العربية، وأكثر علماء التجويد، فهي محصورة في قوله: « ولحروف العربية ستة عشر مخرجًا:

1- فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مُخرجا: الهمزة والهاء والألف.

2- ومن أواسط الحلق مخرج: العين والحاء.

3- وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء.

4- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

5- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.

---

[1] سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص 53.

[2] العين، مصدر سابق، ص 58/1.

6- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء.

7- ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.

8- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ما فُوَيْقَ الضاحك والناب والرَّباعية والثنية مخرج اللام.

9- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فُوَيْقَ الثنايا مخرج: النون.

10- ومن مخرج النون، غير أنه أدخلُ في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

11- وممّا بين طرف اللّسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج: الزاي والسين والصاد.

13- ومن بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذال والثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء.

15- ومما بين الشفتين مخرج: الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم مخرج: النون الخفيفة »[1].

ومن العلماء من « جعل لحروف المد مخرجا مستقلا هو: الجوف، وأطلق عليها الجوفية، وصارت المخارج بذلك سبعة عشر مخرجا، ومن هؤلاء العلماء "الجزري" (ت833هـ)...، وجعل "ابن الطحان" مخارج الأصوات خمسة عشر مخرجا، بإسقاط مخرج النون الخفية (الخفيفة) من مخارج سيبويه »[2].

ومنهم من جعل المخارج أربعة عشر مخرجا، قال الداني: « وزعم الفرّاء وقطرب والجرميّ وابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجا، فجعلوا (اللام والراء والنون) من مخرج واحد، وهو طرف اللسان، وجعلهنّ سيبويه من ثلاثة مخارج »[3].

[1] الكتاب، مصدر سابق، ص 4/433-434.

[2] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 85.

[3] التحديد في الإتقان والتجويد، مصدر سابق، ص 104.

هذا عند علماء العربية قديما، أما إذا ذهبنا عند اللغويين المحدثين فإنّنا نجد الاختلاف غير يسير؛ وإن كنا قد مثّلنا لدى القدماء بسيبويه كونه اتّبعه أغلب العلماء، فإننا سنكتفي عند المحدثين بالتصنيف المشهور الذي عليه أغلبهم، حيث ذهبوا إلى أن مخارج أصوات اللغة العربية الجامدة (الصامتة) عشرة مخارج، ويزيد بعضهم مخرجا، وقد ينقص بعضهم الآخر مخرجا، **وهذه المخارج التي قال بها المعاصرون** هي[1]:

1- الشفة: ويسمى الصوت شفويا، والأصوات الشفوية هي: ب، م، و.

2- الشفة مع الأسنان: ويسمى الصوت شفويا أسنانيا، والأصوات الشفوية الأسنانية هي: ف.

3- الأسنان: ويسمى الصوت أسنانيا، والأسنانية هي: ث ذ ظ.

4- الأسنان مع اللّثة: ويسمى الصوت أسنانيا لِثويا، والأسنانية اللّثوية هي: د ض ت ط س ص ز.

5- اللّثة: ويسمى الصوت لِثويا، و اللّثوية هي: ل ر ن.

6- الغار: ويسمى الصوت غاريا، والغارية هي: ش ج ي.

7- الطَّبَق: ويسمى الصوت طبقيا، والطبقية هي: ك غ خ.

8- اللهاة: ويسمى الصوت لهويا، واللهوية هي: ق.

9- الحلق: ويسمى الصوت حْلقيا، والحلقية هي: ع ح.

10- الحنجرة: ويسمى الصوت حنجريا، والحنجرية هي: ء هـ.

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 86-87.

المحاضرة السابعة

صفات الأصوات العربية

إن تحديد مخرج الصوت لا يكفي وحده لتوضيح خصائصه التي تميّزه عن غيره من الأصوات، وذلك لاشتراك أكثر من صوت في المخرج الواحد، حيث هناك عناصر أخرى تسهم في إبراز تميّز الصوت؛ إذ تشكّل الصفة أحد هذه العناصر، وهي تمثّل ما يصاحب تكوّن الصوت في مخرجه من أنشطة أعضاء النطق المختلفة.

1- مفهوم صفات الأصوات:

يعرّف علماء العربية والتجويد الصفة بأنها: « كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميّز بذلك الحروف المتّحدة بعضها عن بعض »[1]؛ بمعنى أن المراد بالصفة كيفية خروج الصوت، أي الخواص والملامح المميزة لكل صوت، من همس أو جهر، وشدة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وغير ذلك من الصفات التي تحدد الحالة التى يكون عليها الصوت عند النطق به.

ومع القفزات الواسعة للعلم التجريبي في المجال الصوتي أتيح لعلماء العربية في العصر الحديث الإفادة من علم الأصوات التجريبي (Experimental Phonetics) في تحديد صفات الأصوات بصورة دقيقة وواضحة؛ مما يعطينا ضوابط ومعايير تساعدنا على نطق صوت كل حرف نطقا صحيحا، كما يصون اللسان من الخلط بين أصوات الحروف المتشابهة لتقاربها في المخرج[2].

2- صفات الأصوات:

لقد تناول علماء العرب هذا المبحث وتوسّعوا فيه، خاصة ما ورد منه في كتاب "سيبويه"، أما ما أورده "الخليل" في معجمه « فمحدود الأهمية، لقلّته وعدم وضوحه أحيانا...، فالمدقِّق في مقدّمة كتاب (العين) يلمح بعض المصطلحات المعبّرة عن صفات

---

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 96.

[2] صفات الأصوات، محمد داود، موقع الدكتور محمد داود http://www.mohameddawood.com، شوهد يوم 2022/10/13، على الساعة 18:45.

صوتية، لكن أكثر هذه المصطلحات اندثرت، ولم يتسرّب منها إلى كتب علماء العربية وكتب التجويد إلا القليل، من ذلك: حروف الذلاقة (ل ر ن، ف ب م)، وما عداها الحروف الصُّتْم، حروف الطلاقة أو الطُّلْق (العين والقاف)...، الصلابة والخفوت (الدال)...»[1].

ولم يظهر أثر لهذه المصطلحات في كتاب "سيبويه"، الذي نحا منحى آخر في دراسة الصفات، أكثر شمولا، وأوضح تعبيرا، وأبعد أثرا في الدرس الصوتي العربي، حيث ورد في الكتاب حوالي ثمانية عشر صفة (18) صارت مدار حديث بحث الدارسين من علماء اللغة وعلماء التجويد، ولم يشذّ عن ذلك إلا القليل، وهذه الصفات هي: المجهورة، المهموسة، الشديدة، الرخوة، بين الشديدة والرخوة، المنحرف، حروف الغنة، المكرر، اللينة، الهاوي، المطبقة، المنفتحة، حروف الصفير، حروف القلقلة (المشربة)، المستعلية، المنخفضة (المستفلة)، الاستطالة، التفشّي[2].

عموما، سنعرض هنا صفات الأصوات العربية آخذين بعين الاعتبار ما تقدّم به القدماء، وما توصّل إليه المحدثون في هذا المبحث، وعليه جاءت الصفات مصنفة على الشكل الآتي:

أ- الصفات التي لها ضد (الصفات المميِّزة):

سُمّيت بالمميّزة؛ لأن من شأنها التمييز بين الأصوات المتشاركة في المخرج الواحد، وهذه الصفات هي:

1. الهمس والجهر: صفتان متخالفتان بحسب اهتزاز **الأوتار الصوتية**، فالجهر صفة ناتجة عن تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية خلال النطق بصوت معين، في حين أن الهمس صفة ناتجة عن عدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت.

ويمكن إدراك الفرق بين الصوت المهموس والمجهور عند النطق، بوضع اليد على مقدم الرقبة (تفاحة آدم)، أو على الجبهة، أو وضع أصبعين، كل أصبع في أذن؛ فنحس برنّة

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 97.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 98.

الصوت في رءوسنا[1]، ونسمع صدى واضحًا في رؤوسنا لاهتزاز الأوتار الصوتية في الأصوات المجهورة، كما في صوت (ز) مثلاً، في حين أننا لا نسمع هذا الصدى ولا الطنين في حالة الأصوات المهموسة، كما في صوت (س) مثلاً، وتتوزع حروف الهجاء العربية بين الهمس والجهر على النحو التالي:

- **الأصوات المهموسة**: عددها عشرة، هي: **(هـ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف)**، وتجمع في قولنا: (سكت فحثه شخص)، ويزيد المحدثون ثلاثة أحرف على ما ذكره القدماء هي **(ء، ق، ط)**، وبذلك يصير عدد الأصوات المهموسة عندهم ثلاثة عشر صوتا –على أن الكثير منهم يقولون أن الهمزة لا مجهورة ولا مهموسة– ولعل تفسير ذلك يكون بأحد احتمالين[2]:

الأول: تطور صوتي للقاف والطاء في النطق العربي مع توالى القرون.

الثاني: عدم دقة القدماء في تحديد صفة الهمس والجهر بسبب عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين. ويتأكد لنا ذلك بتأمل تعريف "سيبويه" الذي لا يخلو من غموض مصطلحاته، وصعوبة تحديد المقصود منه، حيث يقول: « فالمجهورة: حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَع النّفَس أن يجريَ معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوتُ...، وأما المهموس فحرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النّفَس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فردّدتَ الحرف مع جَرْيِ النّفس. ولو أردتَ ذلك في المجهورة لم تَقدِر عليه »[3]، فمعيار "معيار جريان النفَس أو توقّفه" الذي اعتمده "سيبويه" في التفريق بين الجهور والمهموس ليس كافيا.

---

[1] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 325.

[2] ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مرجع سابق، ص 313، و التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 129.

[3] الكتاب، مصدر سابق، ص 434/4.

- **الأصوات المجهورة:** وتضم تسعة عشر صوتًا، هي باقي أصوات العربية بعد استبعاد المهموسة: (ء، ا،ع، غ،ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و). أما عند المحدثين، فهي خمسة عشر صوتا، وذلك باستثناء (ء، ق، ط).

2. **الشدة والرخاوة والتوسط والتركيب:** معيار الشدة والرخاوة يرجع إلى درجة الاعتراض **لتيار هواء الزفير**، ومعيار التوسط خروج الصوت دون انفجار أو احتكا، ومعيار التركيب المزج بين صوتين، وفيما يلي تفصيل لهذه الصفات:

- **الشدة (الانفجارية، الوقفية):** يقصد بها خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضًا تامًّا، وحروف الشدة ثمانية، هي: **ء، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب**، وتجمع فى قولنا: (أجدت طبقك)، وهي عند المحدثين مجموعة في قولنا: (أطق ضد بكت).

والملاحظ أن الاختلاف في حرفين هما، ج ، ض، فالقدماء يرون أن الجيم شديد، أما والضاد رخو، بينما المتأخرين فيرون أن الصاد شديد، والجيم صوت مزجى مركب من الشديد الانفجاري والرخو الاحتكاكي، أي هو صوت مزدوج.

- **الرخاوة (الاحتكاكية):** يقصد بها خروج الصوت مستمرًا في صورة تسرب للهواء محتكّا بالمخرج، أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضا متوسطا، وحروف الرخاوة: **هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف**، وهي كذلك عند المحدثين باستثناء **ض**.

- **التوسط (بين الشديد والرخو):** يقصد به خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج، ولذلك أطلق عليها المحدثون الأصوات **المائعة** أو **الرنينية**، وهي عندهم أربعة: **(الراء، اللام، الميم، النون)** مجموعة في قولنا: (لن مر)، أما القدماء فيجمعونها في قولهم: (لم يرعونا)، فهم بذلك يضيفون أربعة أحرف (ا،ع، و، ي) فيصير عددها ثمانية **(ا،ع، ي، ل، ن، ر، م، و)** ، وقد جعل النطق المعاصر (العين) ضمن الأصوات الرخوة الاحتكاكية.

هذا، ولم يوافق علماء التجويد علماء اللغة في عدد الأصوات المتوسطة، وذلك بإخراج (ا، و، ي) منها، فأصبح عندهم خمسة أصوات متوسطة[1].

- **التركيب**: ويقصد به أن يكون الصوت مزيجا من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)، وهى صفة خاصة بحرف الجيم المعطشة، كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم.

والتعطيش يعنى: « أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار)، ثم ينفرج فجأة، ولما كانت المساحة التي يشغلها اللسان من الغار كبيرة نسبيا إذا قيست بالاحتباس عند اللثة مثلاً، فإن انفصال ظهر اللسان عن الغار لا يحدث متزامنا؛ وبذلك يتخلّف أثر احتكاكي يقوّيه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة وبعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذه الجيم في الكتابات الأجنبية برمزين هما: "dj"؛ فالرمز "d" لقيمة الشدة، والرمز "j" لقيمة الرخاوة »[2].

3. الإطباق والانفتاح: معيار الإطباق والانفتاح هو وضع اللسان عند النطق بالصوت.

- **الإطباق**: يُقصد بالإطباق وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينطبق اللسان على الحنك الأعلى، آخذًا شكلاً مقعرًا، بحيث تكون النقطة الخلفية هي مصدر الصوت في حالة الإطباق، وحروفه هي: (**الطاء، والضاد، والصاد، والظاء.**) ويتولّد عن الإطباق صفة التفخيم لصوت الحرف المطبق.

- **الانفتاح**: هو أيضا وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى فيخرج الهواء من بينهما، وتكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصوت. وحروف الانفتاح هي باقي الحروف بإسقاط حروف الإطباق الأربعة.

4. الاستعلاء والاستفال (التفخيم والترقيق): معيار الاستعلاء والاستفال هو نفس معيار الإطباق والانفتاح ، والفرق بين الإطباق والاستعلاء هو وضع اللسان، فيكون الإطباق بارتفاع اللسان حتى ينطبق على الحنك الأعلى، في حين أن الاستعلاء يحدث

[1] المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 112.

[2] علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ترجمة ودراسة: عبد الصبور شاهين، القاهرة، مكتبة الشباب، 1984م، ص 114.

بارتفاع اللسان إلى أعلى، لكن دون انطباق على الحنك الأعلى. والعلاقة بين الإطباق والاستعلاء علاقة عموم وخصوص، فكل مطبق مستعلٍ، وليس العكس.

- **الاستعلاء**: يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو الحنك الأعلى (اللهاة) ليخرج الصوت غليظًا مفخمًا. وحروف الاستعلاء هي: (**الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، الخاء، الغين، القاف**)، وهذه الحروف تشمل حروف الإطباق الأربعة (ص، ض، ط، ظ)، فبين الاستعلاء والإطباق علاقة عموم وخصوص، وإن كان المحدثون يميزون بينهما على أن العلاقة علاقة تمايز وتباين؛ لأن الاستعلاء عندهم صفة لبعض الأصوات وهي: القاف، والغين والخاء[1].

- **الاستفال**: وفيه يكون وضع اللسان أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية أصوات الحروف العربية بعد استبعاد أصوات الاستعلاء.

5. التفخيم والترقيق: صفتان متخالفتان بحسب غلظ الصوت.

- **التفخيم**: هو «تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه...، ويرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى في الصوت المفخم، فإذا وصل إلى الحنك الأعلى وانطبق عليه سمّي: إطباقا، وهذا يعني أن الإطباق جزء من التفخيم، وليس كل المفخمات تصل إلى درجة الإطباق...، وبما أن مؤخّر اللسان يستعلي نحو الحنك الأعلى، فإن العرب يسمون التفخيم استعلاء، والتفخيم أعم من الاستعلاء، فكل استعلاء تفخيم، وليس العكس »[2]، ويرى المحدثون أنها صفة متولدة عن صفتي الاستعلاء والإطباق، والتفخيم ينقسم إلى:

أ- دائم التفخيم: ويضم جميع أصوات الاستعلاء (**ص،ض، ط، ظ، خ، غ، ق**)، وينقسم إلى قسمين:

1. كامل التفخيم أو الاستعلاء: ويسمى إطباقا، وحروفه أربعة (**ص، ض، ط، ظ**).

2. ناقص التفخيم أو الاستعلاء: حروفه ثلاثة (**خ، غ، ق**).

[1] ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج، مرجع سابق، ص 117.

[2] دروس في النظام الصوتي للغة العربية، مرجع سابق، ص 26.

ب- يفخّم أحيانا ويرقّق أحيانا: (ل، ر).

- **مواضع تفخيم الراء وترقيقها:** الراء مفخمة في أغلب سياقاتها، وذلك إذا كانت مفتوحة، أو مضمومة، أو ساكنة بعد فتح أو ضم، كما في: رَبِّ، رُوح، بَرْد، قُرْط، أما الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فترقق؛ كما في: رِسالة، فِرْعون.
- **مواضع تفخيم اللام وترقيقها:** اللام مرققة دائمًا إلا في لفظ الجلالة فإنها تُفَخَّم إذا سبقها مفتوح أو مضموم؛ كما في: "مِنَ الله، فضلُ الله"، فإذا سبقها مكسور رققت؛ كما في قولنا: باللهِ.

ونشير إلى أن المحدثين قد ذهبوا إلى التقسيم ذاته للتفخيم، إلا أنهم جعلوا (اللام) من الأصوات الدائمة التفخيم، وليست من الأصوات التي تفخّم أحيانا وترقّق أحيانا، وسمّوها باللام المفخمة[1].

هذا، ونجد في العربية ثلاثة أصوات من بين أصوات الإطباق لها مقابل مرقّق، وهي:

ص مقابله المرقق **س**.

ظ مقابله المرقق **ذ**.

ط مقابله المرقق **د**.

وذلك كما جاء في مقولة "سيبويه": « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، ولصارت الصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنها ليس شيء من موضعها غيرها»[2]. وهذا يعني بأن الضاد ليس لها مقابل مرقق، وإن كان بعض المحدثين يخالفون هذا، ويرون أن للضاد مقابلا وهو الدال، ويجعلون مقابل الطاء تاء بدلاً من الدال[3].

- **الأصوات المرققة:** بعد استبعاد الأصوات المفخمة "الإطباق، والاستعلاء" وحالات تفخيم اللام والراء، فإن باقي أصوات العربية مرققة.

---

[1] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 26.

[2] الكتاب، مصدر سابق، ص 436/4.

[3] ينظر: دروس في النظام الصوتي للغة العربية، مرجع سابق، ص 26.

6. الإذلاق والإصمات: الإذلاق من الذَّلق، ومعناه: الطرف، ومنه أطلق مصطلح الإذلاق على الأحرف التي تخرج من طرف اللسان: (**ل، ر، ن**)، والتي تخرج من طرف الشفة: (**ف، ب، م**)، وعليه فأصوات الذلاقة عددها ستة (**ل، ر، ن، ف، ب، م**)، وهي تتميز بخروجها في سهولة ويسر.

ويذهب بعض المحدثين إلى أن « معنى الذلاقة في هذه الحروف لا يراد به سوى المعنى الشائع لهذه الكلمة وهو: القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم؛ وذلك لأنها أكثر الحروف شيوعا في كلام العرب »[1]، أما الإصمات في اللغة فهو: المنع، والحروف المصمتة هي غير الستة المذلقة، وسميت بالمصمتة؛ لأنه « صُمت عنها أن تبنى كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة »[2].

مما سبق تتضح لنا ملاحظتان بشأن صفتي الإذلاق والإصمات:

الأولى: شيوع أحرف الذلاقة بدرجة أكبر من شيوع حروف الإصمات في كلمات اللغة العربية.

والثانية: منع انفراد حروف الإصمات في كلمة من كلمات العربية الرباعية أو الخماسية، فكل كلمة عربية على أربعة أو خمسة أحرف لا بد أن يكون فيها مع الأحرف المصمتة حرف أو أكثر من حروف الذلاقة. ومن هنا قال اللغويون بأعجمية كلمة (العسجد[3])؛ لأنها رباعية وخلت من أحرف الذلاقة.

ب- الصفات التي لا ضد لها (الصفات المحسِّنة):

سمّيت بالمحسّنة؛ لأنها تعطي للصوت جرسه الخاص به، من غير أن يكون لها دور في التمييز بين الأصوات، وهذه الصفات هي:

1. القلقلة: وهي صفة خاصة بتلاوة القرآن الكريم، وتكون في أصوات: (**ق، ج، ط، د، ب**) المجموعة في كلمتي: (قُطْبُ جَدٍّ).

---

[1] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مرجع سابق، ص 323.

[2] سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص 68.

[3] العسجد بمعنى: الذهب.

ويشترط العلماء لوقوع القلقلة في هذه الأصوات شرطان، أحدهما: عند الوقف، والآخر: سكون هذه الأصوات، سواء وقعت وسطا أو متطرفة. وقد قسّم بعض المتأخرين القلقلة إلى كبرى وصغرى؛ فالأولى تكون في حالة سكون الحرف عند الوقف، والثانية في حالة سكون الحرف في وسط الكلمة أو درج الكلام[1].

2. **الصّفير**: يقصد به شدة وضوح الصوت في السمع، بسبب الاحتكاك الشديد في المخرج، فيخرج الصوت مصحوبا بدرجة من الصفير، وأصواته ثلاثة: **(ص، ز، س)**.

3. **التكرير**: صفة خاصة بالراء **(ر)**، وينبغي الحذر من المبالغة في تكرار الراء بتوالي ضربات اللسان مما ينشأ عنه راء مكررة، وليس صوت الراء المطلوب ظهوره.

4. **التفشّي**: وهو ناتج عن وضع اللسان عند النطق بالشين **(ش)**، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء في الفم، فلا ينحصر مرور الهواء في مخرجها.

5. **اللين**: اللين صفة لصوتي **الواو** و**الياء** حال سكونهما، ويكون ما قبلهما مفتوحا؛ كما في: خَوْف، بَيْت.

6. **الغنة**: لها صوتان: **النون** و**الميم**؛ سميت بذلك لأن الهواء يخرج معها من الخيشوم.

7. **الانحراف (الصوت الجانبي)**: ولها صوت واحد هو: **اللام**؛ لأن اللسان ينحرف فيأخذ جانبا واحدا من جوانب الفم حين النطق بهذا الصوت.

8. **الهتة**: صفة فيها الضعف والخفاء، والصوت المهتوت هو: **الهاء**.

9. **الاستطالة**: وهي صفة خاصة بصوت **الضاد**، والمراد بها استطالة المخرج من حافة أول اللسان وما يليه من الأضراس، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمنًا أكبر.

[1] ينظر: المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 120-121.

المحاضرة الثامنة

نظرية الفونيم

1- تمهيد:

إن نظرية الفونيم على اختلاف التوجّهات في تفسيرها وتحديد أبعادها « قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع ألفبائيات اللغات المختلفة؛ فقد لاحظ العلماء أنه على الرغم من أن الأصوات المستخدمة في الكلام تعد ذات تنوع غير محدود، فإن المتكلمين والسامعين يكونون عادة واعين بعدد صغير فقط من الأنماط الصوتية المستقلة.كما لاحظ العلماء أننا حين نستمع للغتنا فنحن نقبل كنفس الشيء أشياء مختلفة، سواء من الناحية النطقية أو الأكوستيكية أو الإدراكية. ومعنى هذا أن أبناء اللغة يتجاهلون بعض الفروق، ويحكمون بأنهم ينطقون ويسمعون نفس الشيء على الرغم من وجود هذه الفروق...، إن السبب يكمن في أن هذه الأصوات – رغم اختلافها– تؤدي نفس الوظيفة في نظام اللغة، ولذا يعتبرها المجتمع اللغوي نفس الشيء، والوظيفة هنا تعني الوظيفة التمييزية »[1].

وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الصوامت، بل « إن الحركات أيضا لها نصيب ملحوظ من تعدد الصور بحسب السياق؛ فالسكون في (إن) ينطق بالكسر في نحو (إن ارتبتم) للتخلص من التقاء الساكنين، وكذلك الحال في سكون الواو في مثل (اخشوا) حيث يحرّك بالضمة في (اخشوا الله) ونحوه. وتخضع الحركات أيضا للتغير والتعدد في الكم من حيث القصر والطول في الكلام المتصل؛ فالكسرة في الحرف (في) كسرة طويلة، ولكن يصيبها القصر في نحو (في البيت) »[2].

وتعد نظرية الفونيم من أهم مباحث الفونولوجيا؛ هذا التوجه اللساني الذي ظهر مع جهود رواد مدرسة براغ اللغوية (المدرسة الوظيفية) منذ ما يزيد على ثلاثين سنة[3]، على يد

---

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 171.

[2] علم الأصوات، كمال بشر، القاهرة، دار غريب، 2000م، ص 478

[3] ينظر: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق ص 199.

اللغوي الروسي "نيكولاي تروبتسكوي" Troubetzkoy (ت1938م) الذي كان له الفضل في بيان حدود هذا العلم، ووضع أسسه العلمية، حيث حدّد مهمة الفونولوجيا ببحث العناصر الصوتية ضمن مجموعة العلاقات التي يفرضها نظام اللغة المدروسة، وصولا إلى بيان الوظيفة التي تؤديها العناصر مجتمعة. وهكذا تحوّل الدرس الصوتي من الجزئيات المعزولة إلى النظام والبنية التي منها ينبغي الانطلاق، ثم يمكن بعدها بحث الجزئيات من خلال علاقاتها المختلفة، ومن هنا عُدّت الفونولوجيا وسماتها عند "تروبتسكوي" أحد أصول البنوية التي شاعت في الدراسات الغربية على اختلافها[1]، ثم عرف هذا الدرس تطوّرا ملحوظا على يد كل من "أندري مارتيني" و"رومان جاكوبسون" إلى أن تشكّلت حدوده الدرسية المعروفة حاليا، والتي لخّصها "فندريس Vendryès" بقوله: « لا توجد في اللغات أصوات لغوية منعزلة، وهذا لا يعني فقط أن الأصوات اللغوية لا توجد مستقلة، وأنها لا تحلّل على انفراد إلا بنوع من التجريد؛ إذ إنها في كل لغة تكوّن نظاما مترابطا، لكن معنى ذلك أيضا أنها لا تستعمل على انفراد، فلا تتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية، فأقل جملة وأقل كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة قد تركبت فيما بينها »[2].

وعموما يمكن تلخيص مفهوم الفونولوجيا في أنها علم يهتم بدراسة وظيفة الصوت في البنية اللغوية، وعلاقة هذه الوظيفة بالمعنى، وهو بهذا يهتم بهُويّة الصوت التي تمثل الأصل الذهني الجامع لكل الصيغ النطقية المتفرعة عنه في التحولات السياقية التي يخضع لها الصوت، وقد سمي هذا الأصل **فونيما** Phoneme، وسميت التنوعات المتفرعة عنه **ألوفونات** Allophones أو تنوّعات Variants، والحقيقة « إن أصوات أي لغة من اللغات لا حدّ لها في واقع الأمر، وإن ما نسمّيه صوتا واحدا قد يتردّد بنفسه أكثر من مرة في كل كلمة من الكلمات، ولكنه ينطلق في كل مرة بصورة خاصة»[3].

---

[1] ينظر: أصول البنوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية، حجازي محمود فهمي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثالث، العدد الأول، 1972م، ص 163-167.

[2] اللغة، فندريس.ج، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص 83.

[3] علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص 194.

2- مفهوم الفونيم:

الفونيم[1] هو مصطلح فونولوجي اختلف اللسانيون اختلافا بيّنا في تحديد مفهومه؛ لأن معظم تعريفاتهم نابعة من الاختلاف في مدارسهم ومناهجها، وحتى بين أبناء المدرسة الواحدة حول تصور كل واحد منهم له، بل إن هناك منهم من ذهب إلى إنكار فكرة الفونيم من أساسها، ورفض صحة وجود مستوى للدراسة الفونولوجية إلى جانب المستوى الفونيتيكي من أمثال اللغوي البريطاني "فيرث".

أما أهمّ ما تم التوصل إليه من التصورات الكلية لنظرية الفونيم، فيمكن إجمالها في مجموعة من الاتجاهات التي تتفق في أن الفونيم هو الأصل أو العنصر الرئيسي الذي قد تتعدد صوره، لكنهم اختلفوا في تحديد طبيعة هذا الأصل وأبعاده، وأهم هذه الاتجاهات:

أ. الاتجاه العقلي النفسي:

يرى هذا الاتجاه أن الفونيم صوت واحد نموذجي « له صورة ذهنية تجريدية يستطيع المتكلم استحضارها في ذهنه، ويحاول -لا شعوريا- أن ينطقها في الكلام الفعلي، ولكنه قد ينجح في تحقيق هذه الصورة الذهنية والتعبير عنها بصوت حقيقي، وقد يفشل في حالات أخرى، فيحاول أن يأتي بأقرب صورة إلى هذه الصورة وإن لم يماثلها تمام المماثلة »[2]؛ فعندما نستحضر في أذهاننا صورة فونيم (النون) مثلا، قد ننجح في تحقيق هذه الصورة المادية، وإبرازها كما في كلمة (نحن)، حيث إن صوت النون في مثل هذا الموضع يوصف بكونه: صوت أسناني (لثوي، مجهور، أنفي، بيني). وقد يخرج هذا الصوت على غير تلك الصورة التي في أذهاننا، وكأننا فشلنا في أداء الصورة الحقيقية له، فننطق صورة أخرى تقترب من هذه النون، كما في: (انبسط، انبعاث، أنبياء) مثلا، فالنون في هذه الكلمات تنطق ميما،

---

[1] « من الصواب أن نمسك بالخيط من أوّله حين نراجع معنى هذا المصطلح (Phoneme) في معجم اللغة الفرنسية، لنجده مستخدما في علم الأصوات التقليدى بمعنى: عنصر صوتي في اللغة المنطوقة، يقوم على أساس عضوى (هو تكوينه بواسطة أعضاء النطق)، وعلى أساس سمعى (وهو الصفة الموضوعية أو الشخصيه للسمع)، ويصنّف علم الأصوات الفونيمات إلى حركات وصوامت، وأنصاف حركات (أو أنصاف صوامت)، أما في علم الأصوات التشكيلي (الفونولوجيا) فإن هذا العنصر نفسه يعتبر وحدة متميزة للتعبير الصوتى ». في علم اللغة العام، شاهين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 143هـ/1993م، ص 116.

[2] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 487.

وتنطق في عبارة (من لاحظ، من لازم) مثلا لاما مشددة، وفي (من رغب، من رأى) راء مكررة، وهي في النهاية كلها تنوعات صوتية أو صور أدائية مختلفة للنون في العربية.

ومن الأوائل الذين اتجهوا هذه الوجهة العالم التشيكي "جان بودوان دي كورتيني" Baudouin حيث يرى أن اللغة تحيا فقط في عقول الأفراد تبعا للقوانين العقلية لا تبعا للقوانين الصوتية التي لا وجود لها أصلا، ويرى أن الفونيم مجرد صورة أو مثال يبقى واحدا في نفسه مهما اختلف نفسيا أو فيزيائيا، معرّفا إياه بأنه « الصورة العقلية للصوت»[1]، وهذه أيضا هي نظرة اللغوي الأمريكي "إدوارد سابير" Sapir فيعرف الفونيم بقوله: « الفونيم صوت مثالي نحاول تقليده في النطق، ولكننا نفشل في إنتاجه تماما كما نريد أو بنفس الصورة التي نسمعه بها »[2].

كذلك نجد كلا من "فان ويك" و"ماريو باي" يفسّران الفونيم على أساس نفسي عقليّ[3]، هذا الأساس الذي أدّى ببعض أصحاب هذه النظرة إلى وضع مصطلح جديد مرادف للفونيم « وهو المصطلح: Psychophone للإشارة إلى القيمة النفسية أو العقلية للصوت »[4].

وقد وجهت بعض الانتقادات لهذا الاتجاه أهمها أن اختبار هذه الصورة العقلية عمليا لتقعيدها وتصنيفها ليس بالأمر السهل المتيسر، وأن اتّباع هذا المنهج يجعل عبء القضايا اللغوية مُلقى على عاتق غير اللغويين كعلماء النفس مثلا[5].

ب. الاتجاه المادّي:

لعل أصول هذه الوجهة ترجع إلى العالم السويسري "فردنان دي سوسير" الذي عرّف الفونيم بأنه مجموع التأثيرات السمعية والحركات النطقية للوحدات المسموعة، والوحدات المنطوقة، كل منهما يشترط الآخر؛ فدي سوسير بذلك يرى أن الفونيم مفهوم مركب، لابد

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 175.

[2] المرجع نفسه، ص 175.

[3] ينظر: في علم اللغة، مرجع سابق، ص 129-130.

[4] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 176.

[5] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 177.

في تصوّره من اعتبارين أساسين: عضوي وسمعي، فالوصف العضوي للصوت عن طريق رصد أعضاء التصويت ليس كافيا، إذ لابد من الاعتماد على الأثر السمعي الذي له أثر تمييزي بارز، ولكل وحدة صوتية (فونيم) زمن تستغرقه، لا يمكن تطوّره بدونه[1].

ومن أهم الأعلام الذين تبنّوا هذه النظرة اللغوي الإنجليزي "دانيال جونز"، حيث يعرّف الفونيم بأنه: « عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة، والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها »[2].

فالفونيم بهذا المفهوم ليس صوتا مفردا ينطق بصورة واحدة إنما يمثل المجموعة التي تضمّ أسرة من الأصوات، قد تكون مختلفة تماما فونيتيكيا، لكنها متكافئة في الوظيفة في سياقات متغايرة، حيث يكون أحد أعضاء هذه الأسرة عضوا رئيسا، وبقية الأعضاء هي ثانوية أو تنوّعات له، ويكون اختيار هذا العضو الرئيسي لاعتبارات هي: « إما أن يكون هذا العضو أكثر ورودا في الاستعمال من اللغوي من بقية الأعضاء، أو لأنه العضو الذي يستعمل منعزلا عن السياق، أو لأنه متوسّط بين الأعضاء المتطرفة؛ كصوت النون اللثوي في مقابل بقية أصواتها »[3].

وقول "جونز" هذا يوضحه أكثر مثال النون المذكور سابقا، فالتنوعات الصوتية المختلفة له هي عائلة من الأصوات المتقاربة في خصائصها، بحيث أنه حينما يقع الواحد منها في سياق معيّن لا يمكن أن يقع مكانه صوت آخر من العائلة نفسها؛ ومعنى ذلك أن النون التي قبل الثاء في (إن ثاب) بما فيها من إخراج اللسان ومن الصفات الأخرى، لا تحلّ محلّ النون التي قبل القاف في (إن قال) أو في (إن شاء)؛ لأن لكل منها مكانها وخصائصها وبيئتها الصوتية الخاصة بها. وهذا هو المقصود بمعنى التخارج بين الأصوات – حسب رأي تمام حسان–؛ أي أن أعضاء العائلة الفونيمية الواحدة متخارجون، حيث أن

[1] ينظر: في علم اللغة، مرجع سابق، ص 119-120.

[2] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 485 .

[3] مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م، ص126.

« كل صوتين من نفس الحرف متخارجان من جهة الموقع؛ أي لا يقع أحدها موقع الآخر. والعلاقة بين الأعضاء المختلفين في الفونيم الواحد إما أن تكون عضوية أو صوتية؛ أي أنها إما أن تكون علاقة بالمخرج، أو علاقة بالصفة؛ فالعلاقة بين الحاء المهموسة في (يخشى) والمجهورة في (أَصِخْ غَيْرَ مَأْمُور) علاقة بالمخرج مع اختلاف الصفة، ولكن العلاقة بين النونات المختلفة التي ذكرناها علاقة بالصفة مع اختلاف المخرج»[1]، أما إذا صح وقوع أحد الصوتين محلّ الآخر فهنا تنتفي فكرة التخارج، ويصبحان عندئذ صوتين لا ينتميان لفونيم واحد، إنما هما فونيمان مختلفان؛ لأن الفونيم يمكن أن يتبادل الأماكن مع الفونيمات الأخرى، مما يعطي تمييزا دلاليا وقيما لغوية أخرى للكلمات، نحو قولنا: (ثاب، تاب، عاب، شاب...)؛ لأن الثاء صوت ينتمي إلى فونيم الثاء، على حين أن صوت التاء ينتمي إلى فونيم آخر هو فونيم التاء وهكذا[2].

غير أن كلام "تمام حسان" لا يؤخذ على إطلاقه، لأننا قد نجد في اللغة بعض الأصوات تستطيع أن تتبادل المواقع، ولا يمكن نسبتها إلا لفونيم واحد، فاللغة في بعض الحالات تسمح بوقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في السياق نفسه الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها، وذلك في التنوعات اللهجية التي قد تستبدل صوتا بصوت آخر مختلف عنه تماما، كحال الجيم الفصيحة والقاهرية في اللهجات العربية، فاستعمال أهل الصعيد في مصر لصوت /g/ بدلا من الجيم في كلمة (جمل) أو (جبل) مثلا، لا يمنع من استعمال /dj/ في هاتين الكلمتين في بعض المناطق العربية الأخرى، مع العلم أن هذين الصوتين تنوّعان لفونيم واحد هو (الجيم)، ويمكن إضافة ألفون (الشين) إلى هذه المجموعة لأسباب فونيتيكية يفرضها السياق الصوتي الذي تقع فيه الجيم، كما في كلمة (اجتمعوا) التي تنطق (اشتمعوا).

ويشير "كمال بشر" إلى هذا الأمر بقوله: « وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نشير إلى أن نطق الجيم العربية بصورة متعددة كالجيم الفصيحة (di) أو الجيم القاهرية (g)، وكنطقها

[1] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 126-127.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

دالا أو جيما شامية (ج)، هذا النطق بصوره المتعددة ليس مما نحن فيه، أي ليست هذه الصور تنتمي إلى أسرة واحدة، ينتظمها فونيم واحد. إن كل صورة منها تنتمي إلى مستوى لغوى معين أو إلى لهجة معينة، ومن ثم ينبغي حسبانها أصواتا مستقلة لها مواقعها ودورها في هذا المستوى أو تلك اللهجة، وهذه الأصوات –بهذا المعيار– إنما يُنظر إليها وتُدرس في إطار النظام الصوتي الخاص بكل مستوى أو لهجة، دون الخلط بين نظم المستويات أو اللهجات صاحبة هذه الصورة أو تلك »[1].

لكن هذا يمكن أن يدخل في معنى المصطلح الثالث الذي أضافه "جونز" إلى كل من مصطلح (فونيم) و(ألوفون) وهو: الصوت المزدوج (Dia Phone) الذي يقصد به: «عائلة من الأصوات يمكنها أن تتبادل الأماكن دون تعديل في معنى الكلمة »[2]، من مثل (السين) التي تنطق صادا في كلمة (بسطة)، فهذا عند "دانيل جونز" هو ديافون، ولكن صورة النون قبل القاف لا يمكن أن تتبادل موقعها مع النون الأسنانية، فمجموع صور النون هو (الفونيم) عنده، وهذه في الحقيقة نقطة ضعف هذا التصور؛ لأنه يقصر الفونيم على مجموعة الأصوات المتقاربة المحكومة بالسياق الصوتي؛ أي عائلة من الأصوات المزدوجة غير القابلة للتبادل[3].

ج. الاتجاه الوظيفي:

إن الرأي المؤسّس لهذه الوجهة هو اعتماد الدلالة التي يؤدّيها الفونيم، وهي وجهة نظر اللغوي "نيكولاي تروبتسكوي" الذي يرى أن الفونيمات أصغر وحدات اللغة التي تستطيع –بطريق التبادل– أن تميز كلمة من أخرى دلاليا، وأنها علامات مميزة لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة، حيث يعرّف الفونيم قائلا: « هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس »[4]، فالباء مثلا لها سلسلة من

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 484.

[2] في علم اللغة، مرجع سابق، ص 133.

[3] ينظر: في علم اللغة، مرجع سابق، ص 132-133.

[4] في علم اللغة، مرجع سابق، ص 121.

الحركات النطقية: كاقتراب الشفتين واهتزاز الوترين الصوتيين وحبس الهواء المندفع من الرئتين ثم إطلاقه، ولها أثر سمعي محدد تنطبع (الباء) به كلاّ لا أجزاء، فالباء وحدة فنولوجية، لأن أيا من عناصرها لا يُعدّ وحدة فونولوجة لعدم إمكانية انعزاله عن بقية العناصر؛ فالاحتباس الشفوي يليه الانفجار، والجهر يظهر بين هذا وذاك، فلا استقلال إذن لهذه العناصر الجزئية[1].

واللافت للنظر أن "تروبتسكوي" على الرغم من إلحاحه على الجانبين: النطقي والسمعي، فإنه يركز على الوظيفة التي يمكن أن يؤديها الفونيم في تمييز كلمة عن أخرى، ومن جهة ثانية يؤكد على أن الذي يتحقق في الكلام الفعلي ليس الفونيم، بل تنوّعاته الصوتية، حيث يقول: « إن الأصوات المحسوسة التي تبرز في اللغة ليست سوى رموز مادية للفونيمات...، وليست هذه الأصوات هي الفونيمات في ذاتها »[2].

وينظر اللغوي الأمريكي "بلومفيلد" إلى الفونيم نظرة تكاد تتفق مع ما ذهب إليه "تروبتسكوي"؛ إذ يرى أن الفونيمات هي « أصغر وحدات صوتية مميزة تقوم بعملية التفريق بين معاني الكلمات. ويؤكد أن الفونيمات ليست أصواتا، ولكنها مجرد صفات صوتية يستطيع المتكلم بالتدريب والخبرة اللغوية أن ينتجها وأن يتعرفها في سياق الأصوات الكلامية الحقيقية »[3].

د. الاتجاه التجريدي:

هذه النظرة تعتبر « الفونيمات مستقلة استقلالا كاملا عن الخصائص الصوتية المرتبطة بها، وأهم من عرف بها العالم الياباني "جمبو" Jimbo، والعالم الإنجليزي "بالمر Palmer"»[4]، وكذلك اللغوي الأمريكي "فريمان توادل" F.Twaddell الذي يرى أن « الفونيم لا وجود له من الناحية العضوية ولا من الناحية العقلية، وإنما هو وحدة تجريدية

[1] ينظر: في علم اللغة، مرجع سابق، ص 121-122.

[2] المرجع نفسه، ص 126.

[3] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 489.

[4] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 181.

يقوم الباحث باستخلاصها من الأحداث النطقية بعد تجريدها والوصول منها إلى "كلٍّ" أو وحدة مستقلة »[1]، فيقول: « إنها مجرد وحدات افتراضية تجريدية ليس لها وجود حقيقي سواء كان وجودا ماديا أو ذهنيا»[2]؛ بمعنى أن الفونيم ليس واقعا ماديا أو نفسيا وإنما هو وحدة مجردة خيالية.

وخلاصة القول حول ما قيل عن الفونيم أن سبب الاختلاف في تعريفاته وتحديداته هو منهجي، ولكنها في النهاية تؤدي إلى نتائج موحدة، متفقة على خاصيتين مهمتين للفونيم « أولاهما: أن الفونيمات جزء من نظام اللغة المعينة، إنها تختلف في عددها وخواصها من لغة إلى أخرى، ومن ثم لا مجال لقياس فونيمات لغة على فونيمات غيرها من اللغات. ثانيتهما: أن البحث في الفونيمات ينصرف بتمامه إلى اللغة المنطوقة، إذ هي وحداتها الصوتية، أما اللغة المكتوبة فوحداتها هي الرموز الموضوعة لترجمة المنطوق، وتسمى gaphemes »[3].

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 490.

[2] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 182.

[3] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 495.

المحاضرة التاسعة

مكوّنات الفونيم وأنواعه

1- مكوّنات الفونيم:

يجمع أغلب اللغويين المحدثين على أن الفونيم هو عبارة عن أسرة أو مجموعة وحدات صوتية يتصدّرها عنصر رئيسي، لكننا نجد اتجاهين رئيسيين في تحليل هذا الفونيم: أحدهما يرى أن مكونات الفونيم هي أصوات، فهو النوع الذي يجمع تلك الأصوات تحته. والآخر يرى أن مكونات الفونيم ملامح صوتية مميزة، أو تجمعات من الخصائص النطقية؛ فهو بذلك عضو من مجموعة أعضاء يحوي من الصفات العامة المشتركة التي تشترك بها باقي الأعضاء، كما أنه يحوي على صفات فردية تميزه عن غيره من الفونيمات[1].

أ. تحليل الفونيم إلى أَلوفونات:

يمثل هذا الرأي اللغوي الإنجليزي "دانيال جونز" رائد الاتجاه المادي السابق، الذي يحلّل الفونيم إلى الأَلوفونات allophones التي هي عبارة عن التجسيد المادي للفونيم؛ أي الصورة الصوتية التي تمثل الوجه المحسوس له، فهي مجموعة أصوات تحقق الفونيم الأساسي، حيث يشترط فيها أن تتقاسم بعض التشابه الصوتي مثل المخرج وكيفية النطق، والتمثيل برمز كتابي واحد، وقد صنّفت هذه الأَلوفونات تحت نوعين هما: « مشروطة ومقيدة بسياقات معينة، وغير مشروطة »[2].

فالأَلوفونات المشروطة أو المقيدة التي تظهر كحالة إجبارية للفونيم الأصلي في تركيب معين أو سياق خاص لا يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر، وهي لا تؤثر في المعنى، من مثل: إن ثاب/ إن قال، أو طاب/ تاب.

أما الأَلوفونات غير المشروطة فليس لها أيضا أي تأثير على المعنى، لكن يمكن أن تتبادل المواقع مع بعضها البعض من مثل: تفخيم اللام وترقيقها في كلمتي (الصلاة والضلال) أو لفظ الجلالة (الله) فيمكن أن تحل المفخمة مكان المرققة دون عناء.

---

[1] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 183.

[2] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 482.

ويوجز "كمال بشر" الفرق الحاسم بين هذين النوعين من التنوعات في العبارة التالية: « القاعدة أن التنوعات المشروطة لا يمكن وقوع أحدها مكان الآخر في الكلمة، فإن وقع عُدّ الأمر خارجا عن قواعد النطق في المستوى اللغوي المعين، وفى كل الحالات تبقى الكلمة هي هي دون تغيير في المبنى والمعنى معا. أما التنوعات غير المشروطة فمن الممكن وقوع أحدها مكان الآخر، ولكنه حينئذ تنوّع عفوي لا علاقة له بتنوعات الفونيم الأصلي، وليس مثلا من أمثلته، وإن عدّ خطأ أو تجاوزا في النطق، وهو -بطبيعة الحال- لا يحدث أي أثر في بناء الكلمة أو معناها »[1].

وللتفريق بين هذين النوعين من الأَلوفونات، اصطلح على تسمية النوع الثاني أي الأَلوفونات غير المشروطة بمصطلح (الفونات) Phones[2] جمع: الفون الذي يعرّف على أنه : « الصوت المفرد؛ أي الصوت اللغوي البسيط الذي يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل »[3].

هذا ويطرح "كمال بشر" في هذا السياق سؤالا مهما فيقول: « متى يمكن لنا أن نعدّ (النون) مثلا صوتا واحدا؟ ومتى يجوز لنا أن نحسبها عدة أصوات؟ الإجابة عن هذا السؤال تختلف باختلاف وجهة نظر الدارس إلى الموضوع. النون صوت واحد إذا نظرت إليها من الناحية الوظيفية، أي إذا نظرت إليها من حيث كونها قادرة على تغيير معاني الكلمات أو عدم قدرتها على ذلك. ولكنها عدة أصوات إذا نظرت إليها من الناحية النطقية الصرفة فقط، أي: من حيث واقعها في النطق الفعلي في الكلام ومن حيث تأثيرها على السمع»[4]. ويفسر ذلك بصورة أوضح قائلا: « إن النون صوت واحد بوصفها ليست باء أو تاء أو... إلخ، أي: بوصفها ذات وظيفة لغوية، أي: قدرتها على تغيير معاني الكلمات. فالفرق في المعنى بين (ناب وثاب) مثلا يرجع إلى وجود النون في الكلمة الأولى والثاء في الثانية. ومن

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 484.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 483.

[3] في علم اللغة، مرجع سابق، ص 115.

[4] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 481.

ثم كان كل منهما –بهذه النظرة– صوتا واحدا لا عدة أصوات. أما أفراد النون أو صورها المختلفة فلها قيمة نطقية فقط، أي أنه يمكن تمييز كل منها في النطق والسماع، ولكنها ليست ذات وظيفة لغوية، إذ لا تتغير معانى الكلمات بإحلال إحداها مكان الأخرى. وذلك لسبب بسيط وهو أن النون في (إن ثاب) مثلا لا تحل محل النون في (إن شاء) في الأسلوب اللغوي الواحد، في حين أن النون –بوصفها (وحدة) أو صوتا مستقلا، بقطع النظر عن أفرادها وأمثلتها المنوعة– هي التي تتبادل المواقع مع غيرها من الوحدات، كما مر في (ناب وثاب) »[1].

ومنه يمكن أن نستنتج أنّ الفونيم وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمة وأخرى، فالكلمتين: (مِن) بكسر الميم، و(مَن) بفتحها متباينتان في المعنى؛ فالأولى حرف جرف، والثانية تصح أن تكون اسم استفهام أو اسم موصول، ولكل منهما موقعه في البناء اللغوي ووظيفته. وترجع هذه الفروق كلها إلى وجود فونيم الكسرة في الكلمة الأولى وفونيم الفتحة الثانية. وكذا الكلمتان (صام) و(قام)، مختلفتان في المعنى، وأيضا متباينتان صوتيا، لوجود فونيم (الصاد) في الأولى وفونيم (القاف) في الثانية. أما الألفون فهو عنصر من عناصر الفونيم لا يحدث بتغييره تغيّر المعنى، وهو الصوت الذي يتحقق في الكلام الفعلي، ومعنى ذلك أن كلا من الفونيم والأَلوفون يمكن أن يتفقا على مستوى التمثيل الصوتي، لكن الفرق بينهما ليس على مستوى النطق، إنما الفرق هو دلالي صرف، فالفونيم يفرّق بين المعاني، والأَلوفون (التنوعات النطقية للفونيم الواحد) لا يفرّق بين المعاني، وعليه فالفونيم يمكن أن يحدد بكلمة (مورفيم) الذي هو التحقيق المادي للفونيم.

ب. تحليل الفونيم إلى ملامح تمييزية:

وهي من أفكار أصحاب مدرسة براغ الذين رأوا أن الفونيم مركب من عناصر أو ملامح خاصة، معرّفين إياه بعدة تعريفات منها أنه « تجمع من الملامح التمييزية مثل الجهر والوقف والأنفية والاحتكاك، أو طاقم من الملامح المتزامنة القادرة على التمييز...»[2].

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 481.

[2] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 185-186.

إن الفونيم بهذا المفهوم « ليس له مقابل واحد حتميّ، وإنما كل واحد من ملامحه التمييزية له مقابل داخل اللغة...، فهو إنتاج مركب للغة، يتباين مع الملامح القادرة على التمييز التي تشكّل وحداته البسيطة غير القابلة للتقسيم. إن الملمح القادر على التمييز عضوٌ من تغاير واحد فقط، هو فيه في وضع مضاد لملح مقابل (في صوت آخر)، في حين أن الفونيم مجموعة من التقابلات الكثيرة بعدد ما يشتمل على ملامح قادرة على التمييز، وعلى أساس كل واحد من هذه الخصائص الأكوستيكية يكون الفونيم في وضع اختلاف مع فونيم آخر »[1]، ونعني بالتقابلات هنا مثلا: المهموس مقابل المجهور، الأنفي مقابل الفموي، الشديد مقابل الرخو...إلخ.

فالفونيم عند أصحاب هذه الفكرة قابل للتحليل إلى ملامح تمييزية، وكل واحد من الفونيمات يتميّز عن الآخر بواحد على الأقل من الملامح المختلفة، كما أنه يختلف عن مكوناته هذه وعن الوحدات الكبرى التي يقع فيها كالكلمات والجمل[2]، وللتوضيح نذكر على سبيل المثال: الفونيمان: ب، م.

ب: وقفي + شفوي + مجهور. **م**: أنفي + شفوي + مجهور.

نلاحظ أن هذين الفونيمين يشتركان في ملمحي الشفوية والجهر، والفرق بينهما أن م: + أنفية – وقفة، و ب: + وقفة – أنفية. فكل منهما مكوّن من ثلاث ملامح تمييزية أساسية، بحيث أن الشفوية والجهر قاسم مشترك بينهما، وزيادة الأنفية ينتج ميما، وزيادة الوقفة ينتج باءً.

وتُقسّم الملامح الصوتية إلى قسمين: ملامح تمييزية، وملامح غير تمييزية[3]، فالقسم الأول على نوعين: الأول هو الملامح التمييزية الأصلية؛ وهي الملامح النطقية التي يتكون منها الصوت في النطق، ومثال ذلك صوت اللام (ل): هو صوت لثوي جانبي مجهور، فهذه ملامح أساسية تظهر في كل أفراد هذا الفونيم، والثاني فهو الملامح الثانوية التي تظهر

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 186-187.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 187-188.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 188.

على الصوت في سياق معين، ويمكن الاستغناء عنها في سياق آخر مثل صفة التفخيم أو صفة الترقيق في صوت اللام عند قولنا (هو في ذمة الله) فاللام في كلمة الله مرقق، وقولنا (إن الله غفور) فاللام هنا مفخمة. أما القسم الثاني من الملامح وهي الملامح غير التمييزية تعود إلى انفعال المتكلم، وتقترن بالدلالة اللغوية التي يمكن أن تُفيد منها.

أما فيما يتعلّق بعدد الملامح التمييزية التي تكوّن الفونيم، فقد اختُلف فيها كثيرا، فعلماء اللغة يفترضون قائمة من الملامح في حدود اثني عشر ملمحا تمييزيا أغلبها موجود بنطق مختلف في الأبنية الفونولوجية في عالم اللغات، ويرى آخرون أنها ستة عشر ملمحا محددة وفقا لشروط سمعية ونطقية، وهذه الملامح هي أماكن النطق وبعض الصفات النطقية الخاصة بالأصوات.

1- أنواع الفونيمات:

لا تقتصر الفونولوجيا على دراسة الوحدات الأساسية في تشكيل السلسلة الكلامية المنطوقة وهي الفونيمات، وإنما تتجاوزها إلى دراسة عناصر صوتية أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي عناصر ليست قطعا من هذه السلسلة، وإنما تتعدّاها لتكسو ظاهر المنطوق تسمى بالفونيمات فوق المقطعية.

أ. **الفونيمات الأساسية**: يطلق عليها أيضا "الفونيمات التركيبية أو القطعية" وهي الصوامت والصوائت التي تتكوّن منها اللغة، والتي تشكّل في طبيعتها أجزاء الكلام، ويدعوها البعض "فونيمات خطية"؛ لأنها تتوالى في الكلام على صورة خطّية. فهذا النوع من الفونيمات يمثّل « الوحدة الصوتية، أو القطعة الصوتية، التي تكون جزءاً من أبسط صيغة ذات معنى منعزلة عن السياق، أو هو ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، كالباء، والتاء، والثاء ... وغيرها من الصوامت Consonants، علاوة على الحركات vowels، وهي الفتحة والضمة، والكسرة قصيرة وطويلة، وأنصاف الحركات وهي الواو مثل كلمة (ولد)، والياء في مثل كلمة (يدع) »[1].

[1] علم الأصوات العربية، جواد النوري، الأردن، جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1996م، ص 129.

ب. الفونيمات الثانوية: secondary phonemes صنّفها بعضهم "فونيمات فوق التركيبية أو فوق القطعية" Suprasegmental phonemes) وحسبها آخرون "ظواهر تطريزية" prosodie features[1]. ومصطلح الفوقطعي (Prosody) يستخدم أحيانا مرادف لكلمة إنجليزية أخرى هي (suprasegmental) والأول أشمل من الآخر، وكلاهما يدل على الخصائص الصوتية التي تتجاوز الصوت نفسه مثل التنغيم (pitchintonation) والنبر (stress) وسرعة الكلام (tempo)[2]. فالفونيم الثانوي هو « ملمح صوتي تتأثر به وحدات صوتية قد تشتمل على أكثر من صامت، أو حركة في المنطوق الكلامي. إن هذا النوع من الفونيمات لا يكون جزءاً من تركيب الكلمة، أو المنطوق، وانما يظهر ويلاحظ فقط، حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تُستعمل جملة، أو حين تضم كلمة إلى أخرى »[3].

والفونيم بنوعيه الأساسي والثانوي متكاملان ومتعاونان فيما بينهما في التعرف على المعاني، فإذا كانت الفونيمات الأساسية تعبر عن معاني الكلمات فإنها تعبر في بعض الأحيان على مختلف المواقف والانفعالات النفسية، لذلك يستعين المتكلم بالفونيمات الثانوية (نبر، تنغيم) التي من شأنها أن تؤدّي هذه الوظيفة[4]، إلا أنه يمكن حصر أهم الفروق بينهما في النقاط التالية[5]:

– يعتبر الفونيم غير التركيبي أكثر بقاءً من الفونيم التركيبي، أي أن الفونيم التركيبي قد يتعرض للتغيير، أو الزوال الذي يحكمه التطور اللغوي، والتاريخي، في الوقت الذي يبقى فيه الفونيم غير التركيبي محافظًا على وجوده.

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 531.

[2] الصوتيات العربية والفونولوجيا، مرجع سابق، ص 77.

[3] علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 129.

[4] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 531.

[5] ينظر: علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 130.

– يعد الفونيم غير التركيبي أكثر بقاءً من الفونيم التركيبي، وذلك بالنسبة لبعض الأشخاص الذين يصابون بأمراض الكلام، كبعض أنواع الحبسة النطقية.

– إن الفونيمات التركيبية أقوى في الأداء الدلالي من الفونيمات غير التركيبية، وذلك لأن الارتباط القائم بين الفونيمات غير التركيبية، والقيم الدلالية أقل نن الارتباط القائم بينها وبين الفونيمات التركيبية.

–تقوم الفونيمات غير التركيبية بدور مهم في رسم حدود وحدة القواعد المعروفة، فهي أكثر صلة بالتعبير عن المعنى القواعدي، أكثر من صلتها بالمعنى المعجمي.

المحاضرة العاشرة

المدرسة الوظيفية

تطلق المدرسة الوظيفية على حلقة براغ التشيكية، وهي إحدى المدارس اللسانية الحديثة التي ظهرت في بداية القرن العشرين، والتي استطاعت أن تفرض نفسها في هذا الميدان، ولا يزال تأثيرها ساريا إلى يومنا هذا، وذلك لتميز منهجها بدراسة نظام اللّغة الكلي بمستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة وظيفية محضة، منطلقة من تحليل الأصوات الأساسية تحت اسم الفونولوجيا أو الصوتيات الوظيفية بهدف معرفة الوظيفة الأولى لهذه الأصوات.

1- نشأتها:

وجد تطور علم اللغة البنيوي منطلقه في مدرسة براغ بتشكسلوفاكيا، فبعد عشر سنوات من نشر "دي سوسير" كتابه (محاضرات في اللسانّيات العامة)؛ أي في « سنة 1926 تشكلت حلقة براغ اللغوية مع فيلام بماثيسيوس Vilem Mathesius، وهافرانك Havranek، وترنكا Trnke، وسكاليتشكا Skalicka، وغيرهم، وانضم إليهم من الأجانب الروسيان تروبتسكوى N . S Trubetzkoy، وياكوبسون R. Jakobson اللذان جعلا مدرسة براغ بقدر حاسم معروفة في العالم...، وفي سنة 1928 ظهرت المجموعة للمرة الأولى على الملأ في المؤتمر العالمي الأول للغويين في هاج Haag...، وقد كان السبب الظاهري لاجتماع حلقة براغ اللغوية للمرة الأولى سنة 1926 زيارة "هنريك بيكر" Henrik Becker الذي عقد محاضرة حول موضوع الفكر الغوي الأوربي، بسطت حولها مناقشة بين الحاضرين (فاشيك Vachek، جاكوبسون Jakobson، وترنكا Trnka، وهافرانك Havranek). وبعد هذا الاجتماع الأول ضمت محاضرات منتظمة أعضاء حلقة براغ. وظهر أول برنامج حلقة براغ في الموضوعات التي نشرها "ترنكا" وغيره سنة 1929. وفيها تحدد اللغة بأنها (نظام وسائل التعبير المناسبة لهدف ما)، وينتج عن ذلك من جهة أنه لا يمكن أن ينظر إلى أي عنصر في اللغة خارج النظام، وينتج عن ذلك من جهة أخرى وجهة للنظر الوظيفية " point de

vue de la functiona". وكذلك سمى علم لغة مدرسة براغ فيها بعد أيضا (علم اللغة الوظيفي). فهو يتحدث عن تصور للغة (بوصفها نظاما وظيفيا) »[1].

وقد اعتبر الباحثون هذه الحلقة النواة الأساس للمدرسة الفونولوجية، حيث رأت أن تجاور الأصوات أو الوحدات اللغوية يسهم بشكل فاعل في تغيير المعاني، وهذا ما جعل منظّريها يركزون على السمات التمايزية للأصوات ضمن إطار نظرية الفونيم الذي يعدّ محور الدراسات الصوتيات الوظيفية، وتوصّلوا إلى أن معنى الصوت هو ما يؤدّيه من وظيفة في الكلام؛ فهو يكتسب معانيه مما يجاوره من أصوات وليس له معنى في ذاته، وهذا ما أشرنا إليه في المحاضرة السابقة المتعلّقة بنظرية الفونيم.

2- مبادئها:

من أهم المبادئ التي نادت بها هذه المدرسة والتي أسهمت في الدرس الصوتي، بل وجهت أنظار اللّسانيين إلى ميادين من البحث اللّساني لم تظهر إلا في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين نذكر ما يلي[2]:

1- التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للّغة والتي تتمثل في الاتصال؛ لأن اللّغة نظام للاتصال والتعبير.

2- الاهتمام بتحليل البنية الأولية البسيطة للغة وهي الفونيم من أجل العثور على سماتها الوظيفية، لأن أصغر وحدة يصل إليها التحليل الفونولوجي والتي تؤدي وظيفة تمييزية هي الفونيم الذي لا يمكن أن يتجزأ إلى وحدات دنيا.

3- الكشف عن العلاقات التي تنطوي على وظيفة في النظام الفونولوجي للغة الواحدة مثل: علاقات التقابل/التضاد بين مجموعة الحروف الشفوية (م.ب.ف) أو بين الحروف الصفيرية (س.ص.ز) في اللسان العربي، وبالتالي يجب أن يتجه البحث الفونولوجي

[1] تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2003م، ص 93-94.

[2] ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، القاهرة، مكتبة الآداب، د-ت، ص 90-89.

إلى دراسة التقابلات الفونيمية، ولا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية.

4-اللغة حقيقة واقعية ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية؛ بعضها يتعلق بالسامع والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام.

5-على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف التي توصلها هذه البنية، لأن اللّغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصيات الإنسانية.

6-من الواجب دراسة الفونيم بنوعيه الأساسي والثانوي في كل لغة وتحديد وظائفهما، لأنهما متكاملان ومتعاونان فيما بينهما في التعرف على المعاني، فإذا كانت الفونيمات الأساسية تعبر عن معاني الكلمات فإنها تعبر في بعض الأحيان عن التعبير على مختلف المواقف والانفعالات النفسية، لذلك يستعين المتكلم بالفونيمات الثانوية (نبر، تنغيم) التي من شأنها أن تؤدّي هذه الوظيفة.

7-اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان فلكل منهما خصائصهما المميزة، ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

3- جهود روّادها في الصوتيات:

حفلت المدرسة الوظيفية بالعديد من الأعلام اللذين أسسّوا أفكارها ومبادئها ومنهجها في دراسة اللغة، ولا يسعنا المقام هنا إلى التطرّق إليهم جميعا لذلك سنقتصر على ثلاثة من أهم هؤلاء الأعلام وهم: "تروبتسكوي" و"جاكبسون" و"أندري مارتني" باعتبارهم أكثر من أفاضوا الحديث عن الجانب الصوتي الوظيفي أو الفونولوجي، حيث يمكن إيجاز أفكارهم فيما يلي:

أ. جهود نيكولاي تروبتسكوي:

من أبرز رواد حلقة براغ اللسانية الذي يعد مؤسس الفونولوجيا أو علم الأصوات الوظيفي، حيث تمثلت أهم أفكاره وأعماله في هذا المجال موجزة في النقاط التالية:

1) التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا: ميّز "تروبتسكوي" بين علم الأصوات وعلم الفونولوجيا؛ فعلم اللغة بالنسبة له هو علم الجانب المادي من الكلام الإنساني، أما الفونولوجيا فعلى العكس من ذلك لا تهتم إلا بالذي يؤدي وظيفة محددة في البنية اللغوية؛ أي أنه لا يعنى بالخاصية الفيزيائية للأصوات، بل بوظيفتها في كل النظام اللغوي، ولا تؤدي الأصوات وظيفتها التواصلية إلا من خلال قيمتها الموقعية المتبادلة في النظام اللغوي.

وبالتالي فتروبتسكوي يرى أن علم الأصوات في العلم الذي يحلّل ويصف أصوات اللغة وهي في حالة التجريد؛ أي مستقلة عن غيرها ومعزولة عن البنية اللغوية بغض النظر عن دورها في المعنى، أما الفونولوجيا فهو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية ومثال ذلك قولنا: النون الصامت + مجهور + أغن، فتكون قد وصفناها على أنها وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات وهو ما يهتم به علم الأصوات، بينما يهتم علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) بتنوعات الصوت حسب السياق، فالنون مثلا في كلمة (نهزّ) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمتي (منك وعنك)[1].

كما أن علم الأصوات عنده يهمل إهمالا تاما كل علاقة بين صورة الكلمة التصويتية، ودلالة هذه الكلمة فهو يقتصر على دراسة جانبها المادي فقط، أما علم وظائف الأصوات فيدرس الصوت من حيث خصاصة التمييزية، فهذه الخصائص هي التي تفرق وظائفيا – بين صوت وصوت آخر في نطاق لغة ما[2].

2) الوظيفة التمييزية للفونيم: يرى "تروتبسكوي" أن الوظيفة التمييزية هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف الفونيم من حيث وظيفته اللسانية على أنه أصغر وحدة لسانية دالة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين، ويفترض هذا الاختلاف وجود تضادين بين الوحدات المميزة؛ إذ أنه ليس بإمكان أي فونيم تأدية وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادا لفونيم آخر من الزوج (تاب، ناب) فيوجد تضاد صوتي بين فونيمي التاء

[1] المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 105-106.

[2] مناهج في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2008م، ص 344.

والنون ميّز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة، كما يرى أن الفونيم عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها والأنماط الصوتية المستقلة والتي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل فونيم يؤدي وظيفتين:

– **وظيفة إيجابية**: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

– **وظيفة سلبية**: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى.

ومثال ذلك فونيم النون يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة (نام) لتحديد معناها ومدلولها وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة (نام) مختلفة عن كلمات مثل: قام، جام ....، وتظهر الوظيفة الإيجابية بشكل جلي أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر في تغيير المعنى مثلا: استبدال فونيم الحاء في كلمة (حاز) بالفاء فتصبح الكلمة (فاز) فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى وترتيبها في بنية الكلمة[1].

كما أنه يرى أن الفونيم قابل لتبادل المواقع مع الفونيمات الأخرى، وأوضح ذلك بأمثلة من العربية فقال : إن السين في (سار) تتبادل الموقع مع الزاي في (زار) والصاد في (صار) وغير ذلك من الأصوات التي من شأنها أن تغير معنى الكلمة إذا حل أي منها محل السين في (سار) مثلا[2].

تسمى النظائر من الكلمات التي ليس بينهما اختلاف إلا في الصوت الواحد "النظائر الصفري" minimal pairs شريطة أن يكون لكل كلمة معنى مختلف عن معنى نظيرتها، ولا يكون إلا بسبب أن الفونيم صوت مخالف لأي فونيم آخر في اللغة ومثال ذلك: أن السين مثلا صوت غير أي صوت آخر في اللغة، أي أن السين فونيم باعتبار أنه

[1] المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 104- 105.

[2] اللسانيات: المجال الوظيفية والمنهج، سمير شريف استيتية، الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2005م، ص 70.

ليس الزاي أو الصاد أو الشين، أو أي صوت آخر في اللغة. أما إذا لم يؤدّ تغيير الصوت في الكلمة أي تغيير المعنى، فإن الصوت الجديد ألفونا من ضمن التنوعات الصوتية للفونيم، فمثلا بعض اللهجات العربية المحكية تنطق السين في (مسمار) صادا فيقولون (مصمار) دون أن يتغير المعني، الصاد في (مصمار) لم يؤد وظيفة دلالية بإطلاق، وإنما المقصود أنها لم تؤد وظيفة دلالية مغايرة لكلمة (مسمار)[1].

وعلى الرغم من أن "تروبتسكوى" قد أفاض في تحليل فكرته عن الفونيم، فقد انتهى في خاتمة حديثه إلى أن الأساس الذي يقوم عليه تعريف الفونيم ينبغي أن يكون وظيفته في تمييز كلمة عن أخرى، وقد وضع لهذا التمييز قواعد يمكن تطبيق بعضها على اللغة العربية[2]:

– **القاعدة الأولى**: إذا كان الصوتان من نفس اللغة، ويظهران في نفس الإطار الصوتي، وإذا كان من الممكن أن يحل أحدهما محل الآخر، دون أن ينتج عن هذا التبادل اختلاف في المعنى العقلى الكلمة، حينئذ يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لفونيم واحد.

ومن تطبيق هذه القاعدة على العربية أن نجد لفونيم (الجيم) صورة نطقية يمكن أن يحل أحدها محل الآخر دون أي تغيير في المعنى ، ومعنى ذلك أن هذه الصور الصوتية تنتمى لفونيم واحد هو فونيم (الجيم). ولو أننا نظرنا إلى النطق القرآني للسين في كلمة (مسيطر) لوجدناه أحيانا يأتي بالسين مرققة على وجهها، ويأتي بها أحيانا مفخمة في شكل الصاد، وهي أصلا سين، فالصوتان إذن هما صورتان لقونيم واحد ما دام التغيير لم يترتب عليه اختلاف في المعنى العقلي للكلمة.

– **القاعدة الثانية**: إذا كان الصوتان يظهران تماما في نفس الموقع الصوتي، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تعديل معنى الكلمة، أو دون أن تصير الكلمة إلى الغموض، حينئذ يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونيمين مختلفين.

[1] اللسانيات: المجال الوظيفية والمنهج، مرجع سابق، ص 71.

[2] ينظر: في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص 123-125.

ولو أننا طبّقنا هذه القاعدة على العربية فسنجد أن ارتباط تغير المعنى بتغيير الفونيم هو الفيصل في تحديد أشباح الكلمات، فالكلمتان (سار وصار) لكل منهما معنى معين يختلف عن الأخر، لأن كلا منهما تتميز بفونيم خاص هو علامتها، فالسين والصاد هنا فونيمان، وكذلك الحال في الأصوات الأولى من الكلمات: (تاب – ثاب – جاب – خاب – ذاب – راب ...)، فإن هذه الأصوات تعتبر فونيمات مستقلة؛ لأن مجرد اختلافها مع الاتفاق في بقية أحرف الكلمة يعني اختلاف المعنى.

– **القاعدة الثالثة:** إذا كان الصوتان من نفس اللغة متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يبرزان مطلقا في نفس الإطار الصوتي فإنهما يعتبران صورتين تركيبيتين لنفس الفونيم.

ويذكر Vachek أن: « كل فونيم في أي كلمة يمكن أن يؤدّي وظيفتين؛ إحداهما إيجابية والأخرى سلبية. أما الأولى بحيث يساعد في تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه. وأما الثانية فحيث يحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى. وعلى هذا فالفونيم c في call يقاسم بقية شركائه في أداء الوظيفة الإيجابية، وهي الكلام المرتفع المقصود توجيهه للسامع من بعيد. أما الوظيفة السلبية فتتمثل في حفظ الكلمة مختلفة –مثلا– عن tail وpali...إلخ »[1].

3) التضاد الفونولوجي (Phonological opposition): مما أولاه "تروبتسكوي" عناية كبيرة هو دراسته لمختلف أنواع التضاد الفونولوجي، وذلك لأن الفرق الذي يساعد على تعريف الفونيم تعريفا علميا أنه يدخل في تضاد أو تقابل فونولوجي واحد على الأقل، ويُعرّفه "تروبتسكوي" بأنه « كل تضاد فونولوجي بين صوتين مختلفين،

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 180.

يمكن أن يُميز بين معان فكرية لغة معينة »[1]، وقد أظهر مميزات الفونيم بمقابلته في سياقات صوتية مختلفة كالآتي[2]:

– **التضاد السالب (Privative opposition)**: من اللسانيين العرب من أطلق على هذا التضاد: التقابل الحِرماني. ويوجد في هذا التضاد تماثل كبير بين فونيمين، ولكن أحدهما يتضمن سمة صوتية غير موجودة في الطرف الآخر، ومثال ذلك: (س/ ز)، (ت/ د)، (ث/ ذ)، حيث إن الصوت الأول من كل زوج صوت مهموس والصوت الثاني صوت مجهور.

– **التضاد التدريجي (Gradual opposition)**: تختلف الأطراف المتضادة في هذا السياق لكونها تشتمل على درجات متفاوتة لخاصية معينة من الميل، كدرجة انفتاح أعضاء النطق عند التفوه ببعض الصوائت، ومثال ذلك صوائت العربية (ا و ي).

– **التضاد المتكافئ (Equipollent opposition)**: يكون لكل طرف في هذا التضاد سمة مميزة لا توجد في الأطراف الصوتية الأخرى، وذلك كالتضاد بين الزوجين (م/ ع)، (ب/ خ).

– **التضاد الثنائي (Bilateral opposition)**: تشترك بعض الأزواج الصوتية في أكبر عدد ممكن من الخصائص بالمقارنة مع الأزواج الأخرى، وذلك مثل التضاد الموجود بين (ك/ خ) حيث يشتركان في السمات التالية: + فمي، + طبقي، + مهموس، فكلّما ازداد عدد السمات الجامعة كانت العلاقة أكثر متانة بينهما.

– **التضاد المتعدّد الجوانب (Multilateral opposition)** يمثل هذا التضاد علاقة هشة بين الفونيمات، فالزوجان: (و/ ي) مثلا يتماثلان لا لشيء إلا لأنهما من صنف الصوائت، ويتماثل (ب/ ع) أو (ح/ ش) لأنهما من الصوامت.

ب. جهود رومان جاكبسون:

[1] اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2005م، ص 143.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 144-145.

يعد من أهم رواد هذه المدرسة وأيضا من مؤسسي الفونولوجيا؛ إذ لولا ديناميكيته الفعالة لما استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الكبير ولاستغرقت وقتا طويلا لتفرض نفسها خارج براغ ففي كتابه (مبادئ اللسانيات العامة) أعطى أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي بعد ملاحظته الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها ثم ضبطها وفق التضاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي، والتي هدته إلى فكرة الملامح المميزة.

1) الملامح المميزة: يقصد بها مجموعة الخصائص الصوتية التي تميّز فونيما عن آخر، وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو مجموعة من الملامح المميزة التي تتبع من الخصائص النطقية والسمعية، وتحدد كل صوت من أصوات اللغة مثل موضع النطق وصفته. ونظرا لدقة الملامح المميزة لكل فونيم والحاجة الماسة إلى تحديدها الدقيق لجأ "جاكبسون" إلى الاستعانة بالآلات وإدخال الأجهزة في الدراسة الصوتية، ونتج عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بعلم الأصوات التجريبي، وعليه بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية التي تحدث نتيجة لتقلبات صوتية معينة إذا وجدت، فالوحدة الصوتية معلّمة وإذا غابت فهي غير معلّمة[1].

وحاول تطبيق فكرة الملامح المميزة في التحليل المورفولوجي فقد وضع نظاما مورفولوجيا من خلال درسته لنظام الفعل في اللغة الروسية، ولكن جهوده في المورفولوجيا لا تقارن بجهوده في ميدان الفونولوجيا. كما أعطى الأولوية للدراسات التاريخية وذلك عكس "دي سوسير" الذي أولى الاهتمام بدراسة التنظيم الفونولوجي العالي للغة، وحاول أن يدرس هدف التغيير الطارئ على الفونيمات عبر المسار التاريخي للغة، أكثر من محاولة فهم أسبابه ومصادره، فتوصل إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشرة سمة ثنائية سمعية صالحة لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية، فهذه السمات كلية تختار اللغة على إثر نظامها الفونولوجي، وتأخذ هذه السمات شكل (+) مثلا (+مصوت) وهذه

[1] المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص97-98.

السمات هي التضادات التالية: (مجهور/مهموس)، (غليظ/حاد)، (رخو/شديد)، (مزيد/غير مزيد)، (شفهي/غني)، (متكثف/منفلش)، (صائت/صائب)[1].

2) دورة التخاطب ووظائف اللغة: يرى "جاكوبسون" أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني الذي لا يتحقّق إلا يتوفّر العناصر السّتة (06) التالية[2]:

- **المرسل:** يقوم بأداء الرسالة.
- **المرسل إليه (المتلقي):** يستقبل الرسالة.
- **إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي:** كي ينجح هذا الاتصال لا بد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما.
- **لغة مشتركة** يتكلّمها المرسل والمتلقي معا، وهو ما يساعد ويسهل عملية التواصل.
- **رسالة لغوية:** وهي ظرف للمحتوى الكلامي، الذي تشير إليه، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه.
- **محتوى لغوي ترمز إليه الرسالة:** وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل.

وقد ميز "جاكوبسون" بين ست (06) وظائف للغة باعتبار أن كل عنصر من العناصر السابقة يولّد وظيفة لسانية مختلفة، وهذه الوظائف هي[3]: الوظيفة التعبيرية الانفعالية Fonction émotive، الوظيفة الندائية (الانتباهية) conative Fonction، وظيفة إقامة اتصال Fonction phatique، وظيفة ما وراء اللغة (المعجمية) Fonction métalinguistique، الوظيفة المرجعية Fonction réferentielle، الوظيفة الشعرية (الإنشائية والأدبية) Fonction poétique.

ج. جهود أندري مارتينيه:

[1] المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 98.

[2] المرجع نفسه، ص 99. وينظر: اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 148.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 99-100. واللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 148.

يعد من أبرز لغويي مدرسة براغ الوظيفية، حيث يقول "عبد القادر المهيري" أن: «النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براغ، فقد تواصل بناءها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندري مارتنيه خاصة »[1]، ويقول "عبد الرحمان الحاج صالح" عن مدرسة براغ: « أخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على الدور الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ، ولهذا سميت النزاعات المتفرعة عنها، ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية بالوظيفية »[2].

1) التقطيع المزدوج: إن السمة البارزة التي تميز اللغة البشرية عن سائر الأنظمة الإبلاغية الأخرى تتمثل في كونها قابلة للتقطيع المزدوج، وهو التقطيع الذي يتبدّى في كون الإنسان الناطق يميل بطبيعته إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي هي في جوهرها تجربة يرغب في إيصالها إلى الآخرين، وقد يكون ذلك بصيحة فرح أو ألم، أو بحركة من الحركات الدالة، هذا السلوك الصادر من الفرد في هذه الحالة للتعبير عن تجربته لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي، فلابد إذن من تحليل التجربة الشخصية التي يستحيل نقلها في طابعها الفردي إلى وحدات متلاحقة معروفة لدى جميع أفراد المجتمع اللغوي وذلك ما يسمى التقطيع الأول، كما يعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتيني" الذي يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية لكونه مزدوج التقطيع؛ أي أن الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما[3]:

– **مستوى التقطيع الأول:** وفيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال) وتسمى هذه الوحدات مونيمات مثال: راجع/تُ در/سي

[1] عبد القادر الميهيري، أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، الطبعة الأولى، 1990م، ص 41.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح، مدخل إلى علوم اللسان الحديث –القرن التاسع عشر: عصر الدراسات المقارنة والتاريخية–، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 03، العدد 01، 1972م، ص 54.

[3] المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 105-106.

نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على أربع مونيمات متتابعة، ويسمى معنى كل لفظة مدلولا وصيغتها الصوتية دالا، وهي وحدات دنيا يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها.

– **مستوى التقطيع الثاني**: يمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان مثال: (كتب عمر درسه) تقطع (كتب) إلى ست وحدات مميزة أي ستة فونيمات: ك/-/ت/-/ب/-/ وكذلك نزل القرآن بلسان عربي ن/-/ز/-/ل/-/.

يقول "أندري مارتيني": « يمكننا أن نفترض جدلا وجود نظام بلاغي يقدم لنا صرخة خاصة لكل حالة ولعل تجربة بشرية، ولكنه يكفي المرء أن يتذكر التعدد اللانهائي لمثل هذه الحالات والتجارب كي يقتنع بأن مثل هذا النظام لابد أن يشتمل على أعداد هائلة من الدلائل المختلفة مما يفوق قدرة العقل البشري على الاستيعاب »[1].

2) مبادئ التحليل الفونولوجي: استطاع "مارتيني" أن يطور التحليل التركيبي للجملة بوضعه خطوات لهذا التحليل الذي يتبنى على وظيفة العناصر اللغوية في التركيب، والطرق التي ترتب وفقها العناصر في الجملة، فقد أشار إلى أهمية الدراسة التركيبية في ضوء النتائج المحصل عليها، حيث قال: « إن مبادئ التحليل الفونولوجي قد وضعت في متناول الناس منذ زمن طويل، وبالعكس ما قيل عن التركيب فهو جديد، وجديد جدا بالنسبة لهذا المؤلف، وإن ضرورة تقديم منهجية وصفية تغطي بشكل منظم مجموعة المعطيات اللغوية جعلتنا نحرّض على الجهد الجماعي الذي يهدف إلى فرز ما تمثله الفونولوجيا في مستوى الوحدات التمييزية بالنسبة للوحدات الدالة »[2]. وقد وضع ثلاثة مقاييس لتحديد العلاقات التركيبية داخل الجملة والتعريف على وظيفتها في التباين وتصنيفها في صنف تركيبي معين وهي:

---

[1] مناهج في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 363.

[2] مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، الإمارات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م، ص 235.

- مفهوم الاستقلال التركيبي.
- الوحدات الوظيفية.
-موقع الكلمة في التركيب.

ووضع نوعا معينا من التراكيب مكانة هامة في نظريته حيث جعله النواة الأساسية للجملة، وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام هو ما أقل أن يفيد ويتمثل في (التركيب الإسنادي) الذي يتكون من عنصرين هامين هما: المسند وهي نواة الخطاب (الحكم)، والمسند إليه الذي تكتمل به الجملة، فنجد مثلا في العبارة الآتية: (يلعب أولاد الجار في البستان)؛ التركيب المكوّن من (الأولاد يلعبون أو يلعب الأولاد) هو نواة التركيب الإسنادي الذي يشكل أساس الجملة لا يمكن أن يزول، وإذا زال فسدت الجملة، وهو تركيب مستقل لأنه يحل بنفسه على وظيفته، أما بقية العناصر الأخرى فمتعلقة به وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان [1].

إذن فالتحليل الفونولوجي هو تحديد العناصر المكونة لنظام لغوي ما من خلال إجراء علاقات لغوية تنشئها الصفات النطقية والفيزيائية بين مختلف الوحدات الصوتية بحيث تنتقل في التحليل الفونولوجي من الجزء إلى الكل.

[1] مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، الجزائر، دار القصبة للنشر الجزائر، الطبعة الثانية، 2006م، ص 101.

المحاضرة الحادية عشر

المقاطع الصوتية في العربية

من المعلوم أن الكلام المتصل أو المركبات الفونولوجية تحدد بالمقاطع، حيث تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى (كلمات، جمل...)، فأصغر وحدة هي الفونيمات، والوحدة التي تليها هي: المقاطع (syllabe)، حيث «يوجد في أية كلمة منطوقة أو جملة صوت واحد –على الأقل– يبرز في السمع بشكل أكثر وضوحا من الأصوات المحيطة به، فقد وجد العلماء أن الكلمة أو الجملة تحتوي على نوع من التموّج في الوضوح السمعي، يكون من السهل إدراكه من قبل السامع، ويمكن أن يتخيل هذا التموج كخط متعرّج فيه قمم (peaks) تشير إلى الحد الأعلى للوضوح، وقيعان (valleys) تشير إلى الحد الأدنى للوضوح، ويكون من السهل جدا –عادة– معرفة عدد قمم الوضوح في الكلمة أو الجملة، وكل صوت يحتل قمة وضوح يسمى: صوتا مقطعيا (syllabic)، والكلمة أو الجملة على هذا تحوي عددا من المقاطع بقدر ما هنالك من قمم وضوح »[1].

1– مفهوم المقطع:

على الرغم من بساطة تصوّر المقطع، ومن قدرة الأشخاص العاديين المجردين من أي خبرة لغوية أن يعدّوا على أصابعهم عدد المقاطع في السلسلة الكلامية، فإن علماء الأصوات لم يوفّقوا حتى الآن في إعطاء تحديد شامل ودقيق له، الأمر الذي أدى ببعضهم إلى القول بأن المقطع مجرد اصطلاح ليس له أية حقيقة موضوعية، أو أنه ظاهرة صوتية لا حدود لها[2]، ولذلك ليس هناك تعريف واحد متّفق عليه يمكن أخذه منطلقا لدراسة المقطع وأنماطه وكيفيات تركيبه في كل اللغات.

وعموما يمكن حصر بعض التعاريف لهذا المصطلح، حيث يقول "كمال بشر": «إن المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت sound وأصغر من

[1] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب، الإربد، عالم الكتاب الحديث، 1425هـ/2004م، ص 96.

[2] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 180، 183.

الكلمة»[1]، ويعرّفه "محمد علي الخولي" بأنه: « وحدة صوتية تتكون من عده أصوات، ولكن يمكن أن تتكون من صوت واحد فقط بشرط أن يكون صائتا، ولكل مقطع نواة تأخذ النبرة المناسبة، وقد يكون المقطع كلمة مثل (قف)، أو جزءا من كلمة تتكون من مقطعين أو أكثر مثل (اجلس)، وللمقطع في كل لغة نظام خاص يحكم عدد وترتيب الصوامت والصوائت »[2].

ويشير "تمام حسان" إلى أن « المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزيئات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة »[3]، ثم يعرض شرحا لقوله هذا لينتهي إلى تحديد مفهومه الخاص للمقاطع قائلا: « ونحن نختار لدراسة المقاطع العربية وجهة النظر الأولى؛ أي اعتبارها تعبيرات عن أنساق منظمة من الجزيئات التحليلية، ونبني رمزنا للمقاطع على هذا الأساس باستخدام الرمزين ص، ع ليدلّ أولهما على الصحيح ويدلّ ثانيهما على العلة »[4].

وقد ذكر "أحمد مختار عمر" أن هناك اتجاهان رئيسيا في تعريف المقطع: اتجاه فونيتيكي، واتجاه فونولوجي، ساردا العديد من التعريفات لكل واحد منهما[5].

2- أشكال المقاطع العربية:

لابد أولا أن نشير إلى أنه « من الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع: أوّلهما هو: المقطع التشكيلي، والآخر هو: المقطع الأصواتي. أما أوّل هذين، فهو تجريدي مكوّن من حروف، وأما الثاني فهو أصواتي محسوس مسموع مكوّن من أصوات. وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة إن ما هو تقعيدي لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة »[6]، والذي نحن بصدد دراسته هو النوع الثاني؛ أي المقطع الأصواتي.

---

[1] علم الأصوات، مرجع سابق، ص 503.

[2] معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982م، ص 160.

[3] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 138.

[4] المرجع نفسه، ص 140-141.

[5] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 284-286.

[6] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 165.

أما بالنسبة للمقاطع العربية فقد اختلف الباحثون في عددها وفي تصنيفها وفي تسميتها، لكنها لا تقل عن خمسة مقاطع ولا تزيد عن سبعة، وقبل حصر هذه الأشكال والأنماط لابد من تحديد بعض الرموز:

(ص، س) يزمزان إلى الصوت الصحيح/ الصامت أو الساكن.

(ح، ع، صا) يرمزان إلى الحركة أو العلة أو الصائت، أما إذا كانت الحركة طويلة فيرمز لها برمزين هكذا (ح ح، ع ع، صا صا).

أ- **المقطع القصير**: وهو المقطع الذي يتكون من صامت وحركة قصيرة ويرمز إليه بالرمز (ص ح) وتمثل هذا النوع من المقاطع؛ مقاطع الفعل "خرج" (خ / ر / ج).

وينفرد "تمام حسان" بإضافة شكل آخر للمقطع القصير يتكون من علة وصامت يسمّيه (القصير المقفل) ويرمز إليه بالرمز (ع ص)، ومثاله: أداة التعريف (ال) [1].

ب- **المقطع المتوسط**: وهو على شكلين:

1) **المفتوح**: وهو المقطع الذي يتكون من صامت+ حركة طويلة، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح) مثل: ما، في، ذو.

2) **المغلق (المقفل)**: وهو الذي يتكون من صامت+ حركه قصيرة+ صامت، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ص)، نحو: قدْ، ومِنْ، خذْ، هل.

ج- **المقطع الطويل**: وهو على ثلاثة أشكال:

1) **طويل مغلق (مقفل)**: ويتكون من صامت + حركة طويلة+ صامت، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح ص)، ويمثله المقطع الثالث (ضال) في كلمة "الضالين"، والمقطع الرابع (مين) من كلمة "المسلمين".

2) **الطويل مزدوج الإغلاق (الإقفال)**: ويتكون من صامت+ حركة قصيرة+ صامت+ صامت، ويرمز إليه (ص ح ص ص) مثل: بنت، شمس، قطّ، حدّ، برّ...

[1] ينظر: مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 142.

3) **المديد:** ويتكون من صامت وحركة طويلة ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح ص ص) نحو: سارّ وحارّ ...

وهذا المقطع الطويل مشروط وقوعه بواحد من اثنين: أن يكون الصوت الصامت الأخير مدغما (رادّ)، أو في حالة الوقف (ضال)؛ لأن اللغة العربية لا تسمح بالتقاء الساكنين إلا في هذه الحالة[1].

ما سبق هي مختلف الأشكال أو الأنواع المقطعية في اللغة العربية، وما خرج عنها أو اختلف فهو ليس نسجا عربيا لمقاطع اللغة العربية، والملاحظ فيها أن «كل مقطع من هذه المقاطع ينتهي بحركة فهو مقطع مفتوح (open)، وكل مقطع ينتهي بصامت فهو مغلق (closed)، فالمقاطع العربية إما مفتوحة وإما مغلقة، وواضح تماما أن المقاطع القصيرة مفتوحة أبدا، والمتوسطة منها المفتوح منها المغلق، أما المقاطع الطويلة والمديدة فمغلقة أبدا»[2].

كما يظهر عند التمعّن في هذه الأشكال أن « المقاطع الموجودة في اللغة العربية الفصحى فهي في الحقيقة ثلاثة فقط: (س ع) و (س ع س) و (س ع س س)، ويمكن عن طريق إطالة العلة أن تصبح ستة إذا رمزنا للعلة الطويلة برمزين هكذا: (س ع ع) و (س ع ع س) و (س ع ع س س)...، والمقاطع الثلاثة: (س ع ع) (س ع) (س ع

[1] ينظر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 511. ودراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 302.

[2] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، مرجع سابق، ص 101.

س) هي المقاطع الشائعة في اللغة العربية، وهي التي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربي»[1].

3- خصائص النظام المقطعي العربي:

إن دراسة نظام المقاطع في أي لغة من اللغات يساعد على معرفة الصيغ الجائزة فيها والصيغ الممنوعة أو الدخيلة عليها، وبذلك يعرف النظام المقطعي المسموح به في لغة معينة، وتميّزه بمجموعة من الخواص والسمات العامة التي تعد قوام التحليل الفونولوجي الذي يعتمد في الأساس في تحديده للمقاطع وطرائق تكوينها على طبيعة كل لغة على حدة. **ومن خصائص النظام المقطع العربي ما يأتي**[2]:

- المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع من صوت واحد، أو مقطع خال من الحركة.
- أقل ما تتركب منه الكلمة العربية هو مقطع واحد من مثل: حروف الجر (ب، ل)، وأكثر ما تتكون منه مهما اتّصل بها من لواحق أو سوابق هو سبعة مقاطع في مثل: (أنلزمكموها، فسيكفيكهم)، وهذا النوع من الكلمات نادر في اللغة العربية، وإنما الكثرة الغالبة في الكلام العربي لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع.
- المقطع العربي لابد أن يبدأ بصامت، وبالتالي لا يمكن أبدا أن يبدأ بحركة.
- لا يتوالى صامتان في المقطع الواحد في بداية الكلمة، أو في حشوها (وسطها)، أو في آخرها إلا في حالة الوقف على آخر الكلمة مثل: شعْبْ، بِنْتْ. كما لا تتوالى أو تلتقي حركتان في مقطع واحد.
- يقل في اللغة العربية توالي مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح)، ولا يسمح بتوالي ثلاثة مقاطع منها في كلمة واحدة مجردة، فكلمة (إبراهيم) يُقيّد فيها توالي المقطعين (ص ح

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 301-302.

[2] ينظر: الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 162-163. وعلم الأصوات، مرجع سابق، ص 509-510. وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، مرجع سابق، ص 102-103.

ح، ص ح ح) بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح، ص ح) فعند الوقف يزول هذا التوالي وينشأ التركيب المقطعي إبراهيم هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح ص)؛ أي باندماج المقطعين الأخيرين في مقطع واحد.

- يُكره في النظام المقطعي العربي توالي أربعة مقاطع قصيرة؛ لأنها مجهدة في الكلام مثل: مجرّة، تحلّة، تعلّم...

4- أهمية دراسة المقطع الصوتي:

يتضح مما سبق أن لدراسة المقاطع الصوتية فائدة كبيرة في معرفة الصيغ الجائزة وغير الجائزة في لغة معينة؛ أي معرفة نسيج الكلمة فيها، كما تُعيننا على معرفة موسيقى الشعر العربي وأوزانه، ويمكن ذكر أهمية المقطع في الدراسة الصوتية في النقاط التالية[1]:

1- أن اللغة كلام، والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات هي المقاطع، ولذا يقال إنه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة، ولكي تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكّله الفونيمات، ولتصف الفونيمات أنت تدرس كيف تنظّم نفسها في المقاطع.

2- أن المقطع يشكّل درجة في السلَّم الهرمي للوحدات الصوتية التي يتشكل كل منها من أصغر وحدة تسبقه: الوحدة الصغرى هي الفونيم، ثم يأتي المقطع (المكون من فونيمات بترتيب معين)، ثم تأتي مجموعة النغم المحتوية على النبر وعلى تتابعات من المقاطع، ثم مجموعة التنغيم التي تحتوي على تتابعات من مجموعات النغم.

3- أن المقطع هو أكبر وحدة نحتاج إليها في شرح كيفية تجمع الفونيمات في اللغة؛ فإذا فحصنا تركيب مقطع مفرد يمكننا أن نعتبر الوحدات الكبرى كتتابعات من المقاطع، وبعبارة أخرى –مع استثناءات قليلة– لاشيء يحدث في هذه الوحدات الكبرى.

[1] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 281-283.

4- أن الكلمة مصطلح له في المقام الأول مغزى نحوي، أما المصطلح الأساسي الفونولوجي الخاص لمجموعة من السواكن والعلل التي لها مركز الوحدة فهو المقطع؛ فالمقطع بهذا الاعتبار أصغر وحدة يمكن نطقها بنفسها.

5- أن المقطع أساسي لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة، فأحسن طريقة للتعوّد على النطق الصحيح للنغمات الصوتية، وللوقفات الموجودة في لغة أجنبية يكون في نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطء، مقطعا مقطعا مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع، وبالتدريج يزيد المرء من سرعة نطقه للحدث الكلامي حتى يصل إلى السرعة العادية.

5-تطبيق على التقسيم المقطعي الصوتي:

مثال1: قال تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

التقطيع: قا / ل / ت / عا / لا ← ص ح ح /ص ح/ ص ح/ ص ح ح / ص ح ح

و/ ل / سو / ف / يع/ طي/ ك ← ص ح/ ص ح / ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح /ص ح

رب ب/ ك/ ف / تر / ضى ← ص ح ص/ ص ح / ص ح/ ص ح / ص ح ص/ ص ح ح

مثال 2: العلم نور والجهل ظلام

/عل/ م ← ص ح ص/ ص ح

نو/ رن ← ص ح ح/ ص ح ص

ول/ جه/ ل ← ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح

ظ/لا/ من ← صح/ص ح ح/ ص ح ص

المحاضرة الثانية عشر

النبر

معلوم أن الكلمات المنطوقة من أصوات متتابعة ينزلق كل تابع منها من سابقه، وليست هذه الأصوات في الكلمة بنفس القوة، وإنما تتفاوت قوة وضعفا بحسب الموقع، وكون صوت من الأصوات في الكلمة أقوى من بقيّتها يسمى: النبر الذي يرتبط بالظاهرة المقطعية ارتباطا وثيقا في الدرس والتحليل، لأن المقطع حامل للنبر. ويعد النبر Stress، والتنغيم Intonation من الفونيمات الفوقطعية أو الثانوية (علم النَّغَم) التي تزامن الأصوات الأساسية، لما لها من فائدة دلالية في إيضاح المعنى والتأكيد عليه.

وقد صنّف الدارسون اللغات بالنظر إلى وظيفة النبر فيها، لتكون اللغة العربية من نوع اللغات غير النبرية التي لا يشكّل النبر فيها أي تغيّر دلالي، بعكس الصنف الآخر وهو اللغات النبرية التي يعتمد المعنى فيها على نوع النبر ودرجاته، ومواقعه في الكلمة. كما صنّفوا اللغات أيضا بالنظر إلى ثباته أو حرّيته، فصنّفت العربية في اللغات ذوات النبر الثابت fixed على عكس الصنف الثاني وهي اللغات ذوات النبر الحر free stress أو القابل للحركة movable stress، حيث إن النبر في كلماتها ثابت يخضع لقوانين مضبوطة محددة ومطردة، يلزم بمعيارها مقطعا أو مقاطع معينة لا يبرحها بحسب بنية الكلمة، ومكوناتها المقطعية وكيفيات تتابعها؛ فهو نبر يمكن التنبؤ به، وتعرف مواقعه بوضوح تام[1].

1- مفهوم النبر:

لقد اختلف في تعريف النبر وتحديده حتى ذهب أحدهم إلى القول بأنه: ليس من السهل تعريف النبر، لكن جميع تعريفات هذا المصطلح تتفق على أن النبر يقتضي طاقة زائدة أو جهدا عضليا إضافيا[2]، فهناك من يعرّفه بأنه: « نشاط ذاتي للمتكلم، قوةٌ قوية من النطق، تعني عملا نشطا لجميع أعضاء النطق، ويكون مصحوبا في العادة بإيماءات واضحة من اليد أو الرأس أو أجزاء الجسم الأخرى، والنبر نوع من الفونيمات الثانوية، أو الفونيمات

[1] ينظر: علم الأصوات ، مرجع سابق،، ص 516-517.

[2] ينظر: دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 220-221.

فوق التركيبة كما يسميها بعضهم، وملاحظة الفونيمات الثانوية تكون أصعب –عادة– من ملاحظة الفونيمات الأولية، وذلك لأنها لا تظهر إلا في التراكيب والاستعمالات الخاصة للأشكال الصوتية البسيطة »[1].

وهناك من يقول بأنه: « موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية، وحَدُّهُ أنه: وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم »[2].

كما أن منهم من يحدّده لغة واصطلاحا ليجد ترابطا معنويا بين التحديدين مبيّنا أن: « النبر في اللغة معناه البروز والظهور، ومنه (المنبر) في المساجد ونحوها. وهذا المعنى العام ملحوظ في دلالته الاصطلاحية؛ إذ هو في الدرس الصوتى يعني نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره. ومعلوم أن الكلمة تتكون من سلسلة من الأصوات المترابطة المتتابعة التي يسلم بعضها إلى بعض، ولكن هذه الأصوات تختلف فيما بينها قوة وضعفا بحسب طبيعتها ومواقعها، فالصوت أو المقطع الذي ينطبق بصورة أقوى مما يجاوره يسمى صوتا أو مقطعا منبورا stressed. ويتطلب النبر عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبيا، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد، لاحظ مثلا: الفرق في قوة النطق وضعفه بين المقطع الأول والمقطعين الآخريْن في (ضرب) مثلا (ض ر ب) تجد أن (ض) المقطع الأول ينطق بارتكاز أكبر من زميليْه في الكلمة نفسها، وهذا ما نلاحظه أيضا في المقطع (كا) من (كاتب)، وفي المقطع (روب) من (مضروب)»[3].

والنبر بما تقدّم له من مفاهيم شيء جديد على الدراسات اللغوية، فلم يتنبه إليه السلف، فقد عرّفوا النبر بمعنى مرادف للهمز[4]، ولذلك كانت « دراسة النبر ودراسة التنغيم

[1] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، مرجع سابق، ص 157.

[2] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 160

[3] علم الأصوات، مرجع سابق،، ص 512-513.

[4] ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، مرجع سابق، ص 157.

في العربية الفصحى يتطلّب شيئا من المجازفة؛ ذلك أن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، ولم يسجل لنا القدماء شيئا عن هاتين الناحيتين، وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية، لأن كل متكلم بالعربية الفصحى في أيامنا هذه يفرض عليها من عاداته النطقية العامية الشيء الكثير، وأظن القارئ يعلم أن القرآن الكريم نفسه يختلف نطقا ونبرا وتنغيما (وعلى الأخص في نطق الضاد والجيم والثاء والذال والظاء والقاف والكاف) من بلد عربي إلى بلد عربي آخر اختلافا يخبر عن نسبة التباين في هذه الناحية بين اللهجات العامية في البلاد العربية المختلفة »[1].

2- أنواع النبر في العربية:

تعرف العربية نوعان رئيسيان من النبر هما: نبر الكلمة أو النبر الصرفي، ونبر الجملة أو النبر الدلالي[2]، والذي يهمّنا هنا هو نبر الكلمة الذي ينقسم بحسب قوة النطق ودرجة الدفع إلى قسمين: نبر أوّلي، ونبر ثانوي؛ « النبر الأوّلي يكون في كل كلمة، أما الثاني فيكون في الكلمات التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها في وزن كلمتين مثل: كلمة (استغفار) فإنها تشتمل على نبر أوّلي على المقطع (فار)، وأخر ثانوي على المقطع (تغ)»[3]. وقد تم تعليل تسمية النبر بالأوّلي بسببين: « أوّلا: لأنه أقوى من الثانوي، وإن استعمال كلمة أوّلي بهذا المعنى يقتضي كلمة ثانوي بالضرورة. وثانيا: لأن موضع النبر الثانوي إنما تقاس مسافته في المقاطع بالنسبة للأوّلي، فإذا وضعت قاعدة المسافة بين الأوّلي الثانوي بعدد من المقاطع ظهر الإيقاع اللغوي الخاص باللغة العربية »[4].

---

[1] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 163-164.

[2] ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، مرجع سابق، ص 159. ومناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 161. نبر الجمل أو السياق أو الدلالي: وهو أن يميز المتكلم أثناء كلامه كلمة (برمتها) ، فيزيد من نبرها، للإشارة إلى غرض خاص؛ فمثلا: (هل سافر أخوك ؟) فحين ننبر في كلمة (سافر) في هذه الجملة؛ ربما يكون المعنى أن المتكلم يشك في حدوث السفر من أخ السامع، أما إذا ضغطنا على كلمة (أخوك) فهم من الجملة أننا لا نشك في السفر، إنما الذي نشك فيه هو المسافر نفسه، فربما كان أباه أو عمه أو غيرهما لا أخاه. وأما إذا ضغطنا في كلمة (أمس) فهم من الجملة أن الشك في تاريخ السفر.

[3] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، مرجع سابق، ص 159.

[4] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 161.

ونشير إلى أن « النبر عند غالبية الدارسين ثلاث درجات: قوي ووسيط وضعيف؛ فالقوي علامته أو الرمز الذي يشير إليه هو [/] ويوضع في بداية المقطع المنبور مباشرة إلى أعلى، والوسيط رمزه [/] ويوضع في بداية المقطع المنبور إلى أسفل، أما النبر الضعيف فيترك عادة بدون رسم كتابي. وغالبا ما يصحب النبر القوي إشارات أو حركات جسمية، كالإشارة باليد، ورفع الصوت، كما يصحبه أيضا اختلاف في درجة الصوت، وربما في النغمة كذلك »[1].

3- مواضع النبر في العربية وقواعده:

سبق أن عرفنا نبر الكلمة في العربية نوعان أو قسمان: نبر أوّلي، ونبر ثانوي، ولكل واحد منهما موضعه في الكلمة، حيث يذكر "إبراهيم أنيس" أن موضع النبر الغالب في اللغة العربية يكون في المقطع الذي قبل الأخير، وهو لا يكون على المقطع الأخير إلا في حالة الوقف[2]، وأن النبر العربي له أربعة مواضع، يلخّصها قائلا: « لمعرفة موضع النبر في الكلمة العربية، يُنظر أولا إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نُظر إلى المقطع الذي قبل الأخير فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول نظر إلى ما قبله؛ فإن كان مثله أي من النوع الأول أيضا، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول »[3]، ونشير هنا إلى أن عدد المقاطع عند "إبراهيم أنيس" خمسة بإسقاط المقطع المديد منها.

كما يوجز "الغامدي" مواضع النبر العربي في قوله: « والنبر في العربية له وتيرة شبه ثابتة، فهو يقع على الصائت الأول في الكلمة إذا كانت بقية الصوائت قصيرة، وعلى

[1] علم الأصوات، مرجع سابق،، ص 513-514.

[2] الأصوات اللغوية، ص127، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، المغرب، دار الثقافة، 1994م، ص 172.

[3] الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 172.

الصائت الطويل إذا كان هناك صائت طويل واحد في الكلمة، وعلى الصائت الطويل الأخير إذا كان هناك أكثر من صائت طويل في الكلمة »[1].

وعموما يمكن تلخيص مواضع النبر الأوّلي بعدّ المقاطع من اليسار إلى اليمين في القواعد التالية:

1- يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان طويلا كما في نستعين، الرحيم، حاكمون... (في حالة الوقف).

2- إذا لم يكن المقطع الأخير طويلا، فإن النبر يقع على ما قبل المقطع الأخير، إذا كان طويلاً في مثل: أبوك، تحابت، أو متوسطا في مثل: كتبت، علمتم...

3- إذا كان ما قبل المقطع الأخير قصيرا يقع النبر على الذي قبله؛ أي المقطع الثالث من آخر الكلمة ما لم يكن الثالث مقطعا قصيرا مسبوقا بقصير آخر مثل: قاتَل، اجتمع...، أو على المقطع الأول (=المقطع الثالث) إذا كانت الكلمة تتألف من ثلاثة مقاطع قصيرة مثل: كتب، فهم، لَعِبٌ...، أو أقل من ثلاث مقاطع مثل: قال، كاد، كاتب.

4- ويقع النبر على المقطع الرابع من آخر الكلمة إذا لم يكن آخر مقطع طويلا، وكانت المقاطع الثلاثة التي تسبقه قصيرة مثل: ورقة، ثمرة، شجرة، عجلة[2].

5- لا تحسب (ال) من مقاطع الكلمة.

6- إذا كانت الكلمة مكونة من مقطع واحد فالنبر عليه كلّه مثل: (قُلْ).

4- أهمية النبر وفائدته:

نستنتج مما سبق أن النبر هو قوة التلفّظ وعلوّ الصوت ووضوحه نتيجة نشاط أعضاء النطق في وقت واحد، وهو ينتقل من مقطع إلى مقطع آخر في الكلمة على حسب تصريفها؛ أي سوابقها ولواحقها ودواخلها، وبالتالي فهو ملمح صوتى مكمّل للبناء اللغوي، وله قيم مهمة في هذا البناء على المستويات اللغوية كافة؛ « فهو على المستوى

[1] الصوتيات العربية والفونولوجيا، مرجع سابق، ص 66.

[2] علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات، إبراهيم محمد أبو سكين، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، 53-56.

الصوتي يمنح الكلمة أو الجملة نوعا من الأداء النطقي الذي يميّزها من غيرها، ويساعد على تحديد هيئتها التركيبية، وهو في هذه الحال عنصر من عناصر (الجوقة) الموسيقية التي تعمل على إبراز المنطوق في صورة موسيقية خاصة أو لون من التفخيم خاص »[1].

كما له قيم صوتية (نطقية) وأخرى فونولوجية (وظيفية)؛ فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميّز مقطعا من آخر أو كلمة من كلمة أخرى، أما من الناحية الوظيفية فإنه يقود إلى تعرّف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوّع درجات نبرها ومواقعه بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة؛ فالنبر في كتب (ك ت ب) على المقطع الأول، ولكنه يقع على الثاني في كتبت (ك تب ت)، وعلى الثالث في كتبته (ك تب ت ه)، أما على مستوى الجملة فإن له قيم دلالية وظائف بالغة الأهمية؛ فعند تنوّع درجاته يفيد التأكيد emphasis أو المفارقة contrast، حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى بغرض بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة. وبالنسبة إلى مستوى الكلام المتصل فله أيضا وظيفة مهمة ترشد إلى تعرّف بدايات الكلمات ونهاياتها؛ فمن المعلوم أن الكلمة في سلسلة الكلام المتصل قد تفقد شيئا من استقلالها، فقد تتداخل مع غيرها، أو تفقد جزءا من مكوناتها، أو تدغم أطرافها في بدايات كلمة لاحقة... إلخ، وهنا يبرز النبر عاملا من عوامل تعرّف الكلمة، وتعرّف بداياتها ونهاياتها، وبخاصة في اللغات ذات النبر الثابت fixed الجاري على قوانين منضبطة مطردة، كما هو الحال في اللغة العربية[2].

ويرى "عبد الفتاح المصري" أن الاصطلاحات القديمة عند "سيبويه وابن جني" كالتطويع والتصريح والتفخيم والتعظيم والتمطيط... هي ألفاظ وظفت للدلالة على ظاهرة النبر؛ كمدحنا للإنسان والثناء عليه بالزيادة في قوة لفظ (الله) وتمطيط اللام نحو: كان والله رجلا. ولننظر إلى تفخيم (إنسان) وتمكين الصوت فيه في قولنا: سألناه فوجدناه إنسانا، تجد النبر فيه يغنيك عن وصفه بالجود والكرم والسماحة[3].

---

[1] علم الأصوات، مرجع سابق،، ص 524.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 514-515.

[3] الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 267

5- النبر في اللغات الأجنبية:

هو أشيع في اللغات الغربية منه في العربية، بحيث يمكن أن يتغير معنى الكلمة في تلك اللغات بتغير موقع النبر، بينما في العربية لا يغير النبر المعنى لكنه يساعد السامع على الفهم. ففي الإنجليزية أربع درجات من النبر هي أولي Primary، وثانوي secondary، وثالثي tertiary، وضعيف weak[1].

ولكن ينبغي أن نعلم أن هناك اختلافات في مواقع النبر في مقاطع كلمات هذه اللغات، فبعضها يخضع نبر كلماتها لقواعد معينة كاللغة العربية مثلا، وبعضها يقع النبر في المقطع الأخير من كلماتها دائما كاللغة الفرنسية، كما يقع في المقطع الأول لكلمات بعضها كاللغة التشيكية، ومنها ما لا يخضع النبر فيها لأية قاعدة، بل يحفظ الموقع لكل كلمة على حدة كما في اللغة الإنكليزية، فمعرفة مواقع النبر إذن له أهمية كبيرة، وخاصة في اللغات الضاغطة كاللغة الإنكليزية، حيث يمكن اضطراب المعنى في هذه اللغة بمجرد تغيير موقع النبر في مقطع من مقاطع الكلمة؛ فإذا نبرت في أولها دلّت على شيء، وإذا نبرت في مكان آخر دلّت على معنى آخر؛ فمثلا الكلمات:Agument/ Torment لا فرق بينهما إلا في اختلاف موضع النبر.

[1] أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة : دكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، علم الكتاب، الطبعة الأولى، 1989م، ص 93.

المحاضرة الثالثة عشر

التنغيم

التنغيم intonation هو قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كله، وقد صنّفها بعضهم "فونيمات ثانوية" secondary phonemes، وهو الخاصة الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه، وتتخلل عناصره المكونة له، وتكسبه تلوينا موسيقيا معيّنا حسب مبناه ومعناه، وحسب مقاصده التعبيرية وفقا لسياق الحال أو المقام. فالتنغيم –بهذه النظرة– هو الكل في واحد، كما يقولون، إنه ينتظم في أثنائه جملة الظواهر الصوتية الأخرى كالنبر stress والتوقيع accent ومطل بعض الأصوات والاختلاف في درجة النغمة وتنوعاتها[1].

وهناك نوعان من اختلاف درجة الصوت pitch voice يمكن تمييزهما[2]:

أ– نوع يسمى بالنغمة أو التون tone، وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة ولذا تسمى تونات الكملة word tones.

ب– نوع يسمى بالتنغيم intonation، وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة أو مجموعة الكلمات. وإن الفصل بين التون والتنغيم يبدو صعبا في بعض الأحيان، وخصوصا فيما يتعلق بالكلمات المفردة التي تستعمل كجمل مثل: نعم.

ومعظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية (intonation languages)، لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني[3]. كما نشير إلى أن كل لغة لها بالنسبة لكل مجموعة من الكلمات أو الجمل نماذج من التنغيم متميزة تماما إلى الحد الذي يمكن للشخص من أن يتعرف على اللغة المتكلمة أمامه حتى إذا لم يميز فعلا واحدة من كلماتها.

---

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 531.

[2] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 225–229.

[3] المرجع نفسه، ص 229.

« وليس التنغيم هو النبر كما قد يظن بعضهم، فالنبر stress وضوح نسبي في نطق مقطع من المقاطع، وهو بهذا الوصف عامل مهم من عوامل التنغيم، بالإضافة إلى عوامل أخرى، ذاتية وغير ذاتية كطبيعة الصوت ، وهيئات التراكيب ومواقفها وملابساتها الخارجية المتعلقة بالمتكلم وأغراضه »[1].

1- تعريف التنغيم:

يقصد به حدوث تغير في الصوت نتيجة اهتزازات الأوتار الصوتية والاختلاف في هذه الاهتزازات بين الصعود والهبوط، حيث يعد "إبراهيم أنيس" أول من أدخل مصطلح (التنغيم) في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسماه (موسيقى الكلام) مشيرا إلى « أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات...، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية»[2]، ومنه فإن « التنغيمات intonations أو التنوعات التنغيمية intonation tones هي تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة »[3].

أ. من الناحية الصوتية: يعرّفه "كمال بشر" بأنه « موسيقى الكلام فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن (الموسيقى) إلا في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلا متناغم الوحدات والجنبات. وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، إذ الكلام – مهما كان نوعه – لا يُلقى على مستوى واحد، بحال من الأحوال »[4].

---

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 533.

[2] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 175.

[3] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 229.

[4] المرجع نفسه، ص 533.

ويذهب "تمام حسان" في تعريفه إلى وصفه في الكلام بأنه: « ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام »[1]، حيث يرى أن الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم.

ويقول "دانيال جونز": « التنغيم ربما يُعَرّفُ بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية »[2].

ب. من الناحية الوظيفية: هو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة كتحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، حيث يقول "عبد السّلام المسّدي": « إنّ التنغيم في العربية له وظائف نحوّية، لأنّه يفرق بين أسلوب وآخر من أساليب التركيب، ومع هذا فإنه لم يحظ لدى أجدادنا ببحث مستفيض، أو تطبيق مسند إلى قواعد محددة »[3]، فهو يؤثر على معنى الجملة «فعندما يكون صاعدا، فغالبا ما تكون الجملة استفهامية. وعندما يكون هابطا، تكون الجملة خبرية. لاحظ الفرق بين الحالتين عند نطق جملة مثل (الزجاج مكسور) بتنغيم صاعد فإننا نستفهم من السامع ما إذا كان هذا الخبر صحيحا، أما عند نطقه بتنغيم هابط فإننا نخبره بالحدث »[4].

ويوضح "أحمد مختار عمر" وظيفة التنغيم قائلا: « وإلى اختلاف التنغيم يرجع الفضل في أننا يمكننا أن تعبر عن كل مشاعرنا وحالاتنا الذهنية من كل نوع. ويمكن في معظم اللغات أن نغير الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب دون تغيير فى شكل الكلمات المكونة، ومع تغيير فقط في نوع التنغيم »[5].

---

[1] مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 164.

[2] An Outline of English Phonetics, p 275.

[3] الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني، عبد الكريم مجاهد، مجلة الفكر العربي، بيروت، الطبعة 26، 1982م، ص 70.

[4] الصوتيات العربية والفونولوجيا، مرجع سابق، ص 65.

[5] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 229-230.

ويذكر "كمال بشر" أن « إمكانات التنويع في النغمات واسعة إلى حد كبير وفقا لنوع الكلام وظروفه، وهذا التلوين الموسيقي يعطي الكلام روحا ويكسبه معنى؛ إنه يدل على الحالة النفسية للمتكلم، كما يعد عاملا مهما من عوامل توضيح المعانى وتفسيرها، وتمييز أنماط الكلام بعضها من بعض... فالجملة الواحدة قد يتنوع معناها بتنوع صور نطقها وكيفية التنويع في موسيقاها، تأمل مثلا عبارة مثل: (يا إلهي؟) فقد تعني التحسّر أو الزجر أو عدم الرضا أو الدهشة ... إلخ، وفقا للحالة المعينة، وهذه المعاني وغيرها إنما ندركها بلون الموسيقى التي تصاحبها عند النطق في كل حالة، وعبارة: (يا ولدي) مثلا هي الأخرى قد تعني مجرد النداء، أو الزجر أو المداعبة أو التشجيع... إلخ، وما كان ذلك إلا بفضل نغماتها المختلفة في كل حالة »[1].

2- التنغيم عند القدماء:

يرى أغلب الباحثين المحدثين أن العرب القدامى لم يتناولوا التنغيم فهو من الدراسات الحديثة، ويذهبون في ذلك مذهب المستشرقين الذين ينفون وجود هذه الظاهرة عند العرب منهم المستشرق الألماني "برجشتراسر"، ومن هؤلاء "تمام حسان" الذي نفى وجود ظاهرة التنغيم في التراث العربي، حيث ذهب إلى أنّ التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل ولا مدروس، ومن ثم تخضع دراستنا إيَّاه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية.

لكن بعضهم لا ينفي عدم وجود إشارات للتنغيم في تراثنا، منهم "عبد السلام المسدي" في قوله السابق، وكذلك "رمضان عبد التواب" الذي يرى أن القدماء قد أشاروا إلى بعض آثار التنغيم ولم يعرفوا كنهه، غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة، ومثال ذلك قول "ابن جني" أنّ « لفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك: (مررت برجل أيّ رجل)، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً، وكذلك: (مررت برجل أيّما رجل)

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 534.

لأن (ما) زائدة... ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجاباً، وذلك كقوله تعالى: ﴿ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ﴾ (المائدة: 116) أي ما قلت لهم »[1].

3- أنواع التنغيم:

إن « نغمات الكلام دائما في تغير من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية إلى أخرى، وللنغمات مدى من حيث الارتفاع والانخفاض تحسّه الأذن المدربة، فعندما ترتفع درجة التلوين الموسيقى نحصل على تنغيم مرتفع rising tone، وعندما تنخفض هذه الدرجة نحصل على تنغيم منخفض falling، أما إذا لزمت هذه الدرجة مستوى واحدا فالحاصل إذن نغمة مستوية level »[2]، ذلك أن التنغيم له علاقة بتردّد الرقيقتين الصوتيين أثناء الكلام، فيكون في الجملة إما: صاعدا، أو هابطا، أو مستويا[3]، وعليه ينقسم التنغيم في اللغة العربية إلى ثلاثة مستويات هي:

أ. **التنغيم الصاعد**: ويكون حين ينتهي الكلام بدرجة إسماع عالية، فمثلا في حالات الاستفهام والشرط، والغضب والوعيد والعتاب ...، يهتز الوتران الصوتيان عند نهاية الجملة، فيكون الصوت حادا، ومثال ذلك: عندما ننفعل لموقف ما، أو كلام شخص ما، فنندهش من الموقف، أو القول، فنردّ بصوت عال أو نصرخ، ويرمز لهذا النوع من التنغيم بالرمز: ↖

ب. **التنغيم المتوسط أو المستوي**: ويكون في حال الكلام العادي (الجمل الخبرية- التقريرية)، ومثاله: إذا تحدث شخص معك وكان كلامه مقبولا، فتُردّد أثناء حديثه (نعم) أكثر من مرة. ويرمز له بالرمز: ⟵

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1952م، ص 269/3.

[2] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 533-534.

[3] الصوتيات العربية والفونولوجيا، مرجع سابق، ص 65.

ج. **التنغيم الهابط**: ويكون حين ينتهي الكلام بدرجة إسماع منخفضة، على الرغم مما قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية، ففي حال الاكتئاب والضعف والعجز والهدوء، أو في الجمل التقريرية يرتخي الوتران الصوتيان في نهاية الجملة، فيكون الصوت ثقيلا، وهذا ما يفسّر وجود التنغيم الهابط، ومثال ذلك: إذا عاتبك أحدهم وأنت مقرّ بخطأ ارتكبته، أو تقصير ما، فتردّ أو تنطق (نعم) بصوت منخفض. ويرمز لهذا التنغيم بالرمز: ↙

4- وظيفة التنغيم:

لقد سبق الإشارة أن التنغيم ظاهرة صوتية متواجدة في اللغات الإنسانية عموما، إذ إن معظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية (Intonation languages)، وانطلاقا مما سبق ذكره في مفهوم التنغيم من الناحية الوظيفية يمكن أن نميّز وظيفتين أساسيتين للتنغيم هي الوظيفة التمييزية، والوظيفة التعبيرية.

- **الوظيفة التمييزية** ويسميها "كمال بشر" الوظيفة النحوية Gramatical، ويعتبرها الوظيفة الأساسية للتنغيم؛ إذ هي « العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب، والتفريق بين أجناسها النحوية... فالتنغيم بأنماطه المنوعة عامل أساسي في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل، يظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية، كما في قولنا مثلا: إن تأت، تجد ما يسرّك؛ حين تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجملة جواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة، دليلا على الاكتمال في المبنى والمعنى معا »[1]، فمن خلاله إذن يمكن تحديد دلالات ومعاني الأساليب اللغوية من استفهام وتعجب وتقرير أو إخبار.

- **الوظيفة التعبيرية**: وتسمى أيضا الوظيفة الانفعالية Emotional function، أو الدلالية السياقية[2] ويكون التنغيم فيها للإفصاح عن الأحوال النفسية للمتكلم كالحزن والفرح والغضب وغيرها.

وهذه أمثلة توضيحية عن وظائف التنغيم:

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 543.

[2] المرجع نفسه، ص 539.

سبق الإشارة إلى أن التنغيم يستعمل لوظائف تواصلية، ولذلك فتنغيم الجملة الواحدة بطرق مختلفة ودون تغيير في شكلها أو مكوناتها يميز الجملة أو الصيغة الإخبارية من الاستفهامية من التعجبية من الطلبية، نحو قولنا:

– ماذا يقرأ محمد؟ تأخذ هذه الجملة معناها بحسب نوع التنغيم:

أ: ماذا تقرأ (يا محمد).

ب: ماذا يقرأ؟ محمد.

ففي (أ) ناب التنغيم الهابط عن أداة النداء، فأفاد أن المتكلم ينادي (محمد) ليسأله ماذا يقرأ.

وفي (ب) ناب التنغيم الصاعد عن أداة الاستفهام (هل) أي: هل يقرأ محمد؟ فالمتكلم يتساءل عن الموضوع الذي يقرأه المخاطَب.

– وكذلك الشأن في قولنا: لعبتُ في المباراة؛ إذ يختلف الغرض منها باختلاف المقامات التواصلية التالية:

أ: خبرية.

ب: تعجبية، انفعالية (إذا أخبره رفيقه بأنه لعب في المباراة، فتعجب من ذلك).

ج: استفهامية (المتكلم نسي أنه لعب ويسأل هل وقع الفعل أم لا).

د: تهكمية (المتكلم لا يلعب ويسخر من نفسه).

انطلاقا من هذا يتضح أن التنغيم يؤدي وظيفة نحوية في السياق التركيبي للجملة، ويبدو ذلك واضحا في التراكيب الاستفهامية ونظائرها الشرطية كما هو واضح في المثال الذي أورده "كمال بشر".

وعلى الرغم من أن مجال التنغيم هو الكلمة اللغوية ككل، فقد تتجلى أيضا وظائفه أحيانا حين يتعلق الأمر بالكلمات المفردة التي تستعمل جملة مثل:

– نعم. فهذه الجملة يمكن أن تُنطق بتنغيمات متنوعة فتؤدّي وظائف تختلف باختلاف المقامات التواصلية.

أ: جملة تقريرية تعني : أوافق.

ب: سؤال: هل قلت نعم يا فلان.

ج: طلب استمرار: أنا منصت، فاستمر.

د: احتمال: من الممكن أن يكون.

هـ: توكيد: بكل تأكيد.

وتجدر الإشارة أخيرا إلى علاقة التنغيم بالفواصل الصوتية حيث يقول "كمال بشر" في هذا الشأن: « التنغيم إنما يتحدّد إطاره وتدرك أنماط نغماته في نهايات الجمل بالفواصل الصوتية، ونعني بها الوقفات والسَّكتات والاستراحات، فهما التنغيم والفواصل متلازمان، وهما معًا الأمارات الأساسية الدالة على أنماط التراكيب وكيفيات تكوينها، وبهما أيضا يمكن تصنيف هذه التراكيب إلى أجناسها النحوية، وتحليلها تحليلا لغويا سليما »[1].

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 532.

المحاضرة الرابعة عشر

الفواصل الصوتية

تعد الفواصل الصوتية من الفونيمات التركيبية أو الفوقطعية أو التطريزية، وهي «مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل مع ظواهر أخرى -كالنبر والتنغيم- تلوينا موسيقيا خاصا بالمنطوق، يحدّد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته. هذه الفواصل هي: الوقفة stop والسكتة pause والاستراحة أو أخذ النفس. وكلها ذات خطر وبال في صحة الأداء الصوتي وتجويده، وفي التحليل النحوي والدلالي للتراكيب »[1].

ولا يختلف مفهوم الفاصلة الصوتية عماّ يسميه "أحمد مختار عمر" بالمفصل Juncture أو الانتقال Transition، وهو « عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة عن مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر»[2].

والملاحظ أن أغلب اللغويين المحدثين قد اقتصرت دراستهم للظواهر التطريزية على النبر والتنغيم، ولم يعطوا كبير اهتمام لتلك الظواهر التلوينية الإضافية كالفواصل الصوتية، والطول أو المد الزمني...، إلا أننا نجد "كمال بشر" قد تناول الفواصل الصوتية بشيء من التفصيل، وربطها بعنصرين مهمين فيقول: « ويرتبط الأداء الصحيح لهذه الفواصل ارتباطا وثيقا بعنصرين مهمين من عناصر التوصيل اللغوي. أوّلهما: هيئات التراكيب وما تنتظمه من قواعد وأحكام تحدّد نوعيتها وخواصها النحوية. والخواص النحوية هنا مصطلح عام يشير إلى الخواص الصوتية والصرفية والتركيبية المقررة في نظم هذه المستويات والمتفق عليها نظرا وتطبيقا، ومن ثم كان لنا -على ما جرى العرف عند بعضهم- أن نسمي هذا العنصر الأول قواعد اللغة grammatical rules. ثانيهما: المعنى الذي يفصح عن هذا التركيب أو ذاك. إن العنصرين متلازمان صحة وفسادا، فإذا صحّ التركيب صحّ المعنى، والعكس بالعكس تماما، إذ لا يتصوّر أن يتعارض التركيب المنتظم للقواعد الصحيحة مع المعنى المراد. نعم، قد تقدِّم بعض التراكيب الصحيحة فرصا أوسع لمعان سياقية منوّعة،

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 553.

[2] دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 231.

ولكنها جميعا تتآزر في بيان المعنى الكلّي للمنطوق. وهنا تأتي الفواصل الصوتية (مع ظواهر صوتية أخرى، كالتنغيم مثلا) عاملاً مهما في الإفصاح عن هذه المعاني السياقية، مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(الأنعام: 100)، قرئت كلمة (الجن) بالنَّصب في رواية وبالرَّفع في رواية أخرى، وكلتا القراءتين صحيحة بالنسبة للمعنى الكلّي للآية الكريمة، فالنَّصب على أن الكلمة بَدلٌ من سابقها المنصوب أو هي مفعول به أوّل مؤخّر، و(شركاء) مفعول به ثان مقدَّم، ومن ثم لا فصل بينهما في النطق. والرَّفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وعلى هذا يقتضى النطق الصحيح سكتة خفيفة بين شطري الآية، أي بين كلمة (شركاء) وكلمة (الجن). وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،] »[1].

وقد قسّمها إلى أقسام ثلاثة هي: الوقفة Stop، والسَّكتة Pause، والاستراحة أو أخذ النّفَس، وقدّم بيانا موجزا لكيفيات تطبيق هذه الفواصل في الكلام المنطوق، وكذا وظائفها في الفهم والإفهام وتحليل التراكيب، نلخّصها فيما يلي[2]:

1- الوقفة stop:

لا تكون الوقفة ولا تتحقّق إلا عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، أي أن تكون بنية المنطوق مؤلّفة وفقا لقواعد اللغة، ومنسوقة وحداتها في نظم خاص يطابق المعنى المقصود والغرض المطلوب بحسب الظروف والحال.

والقاعدة أن تأتى الوقفة الكاملة مصاحبة بنغمة هابطة دليلا على تمام الكلام، ورمزها في الكتابة النقطة [.]؛ بمعنى أن الوقفة الصحيحة لا تكون ولا تتحقّق إلا بتمام الكلام في المبنى والمعنى، وهذه هي الحال في الجمل والتراكيب التقريرية، وأحيانا تأتي الجمل الاستفهامية منتهية بوقفة أو ما يشبه ذلك، ولكنها وقفة من نوع خاص، بل هي مجرد فاصلة صوتية نطقية، أو وقفة معلّقة تفيد ارتباط السؤال بما يتمّه ويكمل معناه، وهو الإجابة عنه. والعادة أن يشار إلى هذا المثال ونحوه في الكتابة بالرمز [؟] علامة الاستفهام في نهاية السؤال، وبالنقطة [.] في نهاية الإجابة المتممة للرسالة مبنى ومعنى.

---

[1] علم الأصوات، كمال بشر، مرجع سابق، ص 553.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 554-562.

ليس من السهل تحديد مواقع الوقفات وحصر أمثلتها بصورة كاملة أو نهائية، فهو أمر يصعب الإتيان به عمليا؛ لأن الوقفات الصحيحة مرتبطة أشدّ ارتباط بصور التراكيب ونوعياتها ومعانيها المنتظمة لها، وما أكثر هذه التراكيب وما أكثر معانيها، وبخاصة عند مراعاة المقامات والسياقات الاتصالية للكلام. ومعلوم أن هذه المقامات والسياقات لا حدود لها على الإطلاق؛ إذ هي مرتبطة بأحوال المتكلم والسامع وما يلفُّهما من أوضاع ثقافية واجتماعية ونفسية إلخ. ويمكن إلقاء الضوء على هذه المواقع بطريق سلبي؛ أي بذكر أمثلة مما لا يجوز الوقف عليه، من ذلك:

– لا تجوز الوقفة، كما لا تجوز السَّكتة أيضا بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنهما مبنى ومعنى كالشيء الواحد.

– وكذلك الحال بين الفعل وفاعله، كما لا يجوز الفصل بينهما وبين المفعول.

– ينطبق هذا بتمامه على التراكيب المكونة من الأدوات الخاصة ومدخولها، ونعني بهذه الأدوات تلك التي تؤثّر في مدخولها من حيث الإعراب أو المعنى أو كلاهما، كما هو الحال في حروف الجر مع الأسماء، وأدوات النصب والجزم مع المضارع، وأدوات الاستثناء والمستثنى، وأدوات النفي والاستفهام مع ما تدخل عليه من الأسماء والأفعال إلخ. فهذه التراكيب ونحوها لا يجوز الفصل بين عنصريها بوقفة أو سكتة بحال من الأحوال.

– لا مكان للوقفة أو السكتة بين اسم الإشارة وبدله أو عطف بيانه المحلى بالألف واللام، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(البقرة: 02)، على قراءة من جعل (الكتاب) بدلا والخبر جملة (لا ريب فيه)، حيث ينتهي التركيب كلّه بوقفة دليلا على تمام الكلام. أما إذا كان اسم الإشارة متْلُوًّا بخبره المحلّى بالألف واللام، فقد تحدث سكتةٌ خفيفةٌ للدلالة على أهمية الخبر وتفرّده بمضمونه، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾(البقرة: 02)على قراءة من وقف على لفظ (الكتاب) وجعله خبرا لاسم الإشارة. ودليل جواز هذه السكتة مجيء ضمير الفصل أحيانا بين المبتدأ والخبر في مثل هذه الحالة كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(التوبة: 72) وفي قولنا: هذا هو الرجل؛ أي: الرجل الكامل الرجولة، فكأن ضمير الفصل جاء معاورا لهذه السكتة.

– لا تقع وقفة أو سكتة بين النعت ومنعوته إلا إذا كان النعت نعتا مقطوعا فيجوز سكتة خفيفة بينهما، دليلا على عود المتكلم إلى التوضيح بذكر النعت المقطوع بإعرابه المخالف لإعراب المنعوت، كما في قولنا مثلا: مررت بمحمد الطويل، بنصب النعت المقطوع أو رفعه، في حين أن المنعوت مجرور.

– لا يجوز الفصل بوقفة أو سكتة بين المميز (بكسر الياء) والمميز (بفتحها)، كما لا يجوز ذلك بين الحال المفرد وما جاء لبيان حاله، كما في نحو: جاء علي ضاحكا. أما إذا كان الحال جملة، فقد تقع سكتة خفيفة بين الطرفين مثل: جاء محمد، وهو يضحك.

2– السَّكتة pause:

السَّكتة أخفّ من الوقفة وأدنى منها زمنا، وهى في حقيقة الأمر مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعارا بأن ما يسبقها من الكلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها ومتعلقّ به، ومن ثم يسميها بعضهم (وقفة أو سكتة معلّقة). والقاعدة أنها تكون مصحوبة بنغمة صاعدة rising tone دليلا على عدم تمام الكلام، وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،]. وهذه الفاصلة فاصلة نطقا واصلة للسابق باللاحق بناء ومعنى. والسَّكتة (بخلاف الوقفة) يمكن إعمالها، كما يجوز إهمالها، ولكن إعمالها أولى.

وتقع السَّكتة في النطق الصحيح في نماذج معينة من التراكيب، وهي تلك النماذج التي تنتظم طرفين يكوّنان وحدة متكاملة، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، وفقا لهيئات تركيبهما ودلالة المنطوق كله. من أهم هذه النماذج وأوضحها في هذا الشأن ما يلي:

– الجمل الشرطية، حيث تكون السَّكتة بين طرفيها: الشرط والجواب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 02).

– ومثلها في ذلك كل الجمل المحكومة برابط من الروابط العامة مثل: بينما، كلّما، لما، لو، لولا... إلخ. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾(آل عمران: 37)، وقوله سبحانه: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: 31). وقوله عزّ شأنه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: 246) .

– تقع السَّكتة أيضا بين المنعوت والنعت المقطوع، كما أشرنا إلى ذلك قبلا.

– هناك إمكانية لسكتة خفيفة بين المبتدأ والخبر إذا كانا مَعرفتين، وبخاصة إذا كان الخبر محلّى بأداة التعريف الدالة على العهد أو الكمال، وكان المبتدأ اسم إشارة، كما مثّلنا لذلك قبلا بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾(البقرة: 02)، على قراءة من جعل الكتاب خبرا. وكما في قولنا: ذلك الرأي (الصائب)، ودليل إمكانية هذه السكتة مجيء ضمير الفصل في مثل هذه الحالة بين المبتدأ أو الخبر: ذلك هو الرأي (الصائب).

– تحدث السَّكتة أيضا قبل أداة الاستدراك (لكن) وأداة الإضراب (بل)، وذلك بعد كلام مستدرَك عليه أو مضروب عنه. والسَّكتة هنا فاصلة نطقا ولكنها في الوقت نفسه واصلة بناء ومعنى، بدليل انتهائها بنغمة صاعدة وهي دليل عدم تمام الكلام، يظهر ذلك مثلا في قولنا: سمعتُ ما يقولون، ولكني غير متأكد، وقولنا: ليس الأمر مقصورا على ذلك، بل تعداه إلى مجالات أخرى.

– تقع سكتة محتملة أو وقفة أحيانا، بعد (القول) وحكايته. وقد عبّرت اللغة العربية عن هذه الحالة بوجوب كسر همزة (إنّ)، إشارة إلى هذه الظاهرة الفاصلة الواصلة. إنها فاصلة فكسرت همزة (إنّ)، فكأنها بداية جملة مستقلة، ولكنها أيضا واصلة، لأن (إنّ) ومدخولها محكى بهذا القول ومفسّر له ومتضمن مقصوده. ولولا السكتة الفاصلة نطقا في هذه الحالة لوجب فتح الهمزة، إذ هي دليل الوصل التام نطقا وتركيبا ومعنى.

وعلى هذا يمكن توجيه القراءة الواردة بكسر همزة (إنّ) في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر: 10)، وقوله عز شأنه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ (آل عمران: 195). قرأ "عيسى بن عمر" بكسر همزة (إنّ) في الآيتين، ولا يمكن تفسير ذلك –في رأينا– إلا بتقدير سكتة فاصلة في النطق قبل (إنّ) التي جاءت مع مدخولها بيانا وتوضيحا لمضمون الدعاء في الآية الأولى والاستجابة في الثانية، فكأن (إنّ) وقعت حينئذ في بداية هذه الجملة التفسيرية، أو كأن التقدير، فقال: (إني مغلوب) و (إني لا أضيع...). أما القراءة بفتح الهمزة –وهي الأشيع والأشهر، في الآيتين– فلا سكتة ولا فصل بين طرفي الآيتين، لأن (أنّ) (بفتح الهمزة) ذات اتصال مباشر وثيق بما يسبقها بحكم موقعها الإعرابي في هذه الحالة، وكل ما يشبهها من حالات؛ ونعني بها تلك الحالات التي

يمكن أن تصوغ من (أنّ) (بالفتح) مع مدخولها مصدرا له في موقع إعرابي في الجملة، رفعا ونصبا وجرا.

3- الاستراحة:

هي مجرد وسيلة صوتية لمنح الكلام خاصة الاستمرارية عند مثل الوقفة أو السكتة في فتراتها الزمنية، إذ لا يكاد يلحظها السامع غير المجرِّب، أو أن يتوقّع حدوثها. إنها فرصة لمجرد أخذ النفس، أو ما يسميه بعضهم (سرقة النفس)، ولا قواعد ضابطة لها، ويتوقف تفعيلها على قدرة المتكلم وعلى مدى فهمه واستيعابه لقواعد اللغة، وهى في حاجة إلى خبرة ودُربة حتى لا تمتدّ في فترتها الزمنية إلى ما يشبه الوقفة أو السَّكتة فيفسُد المعنى.

والملاحظ أن بعض قراء القرآن الكريم كثيرا ما يُعملون هذه الاستراحة عندما تطول الآية، قصدا إلى الإمعان في التطريب والتلحين وتلوين الصوت، لجذب المستمعين وكسب انتباههم وتعلّقهم بهذا الأداء المطرب المنغوم في رأيهم.

ومهما يكن الأمر، فإن للفواصل الصوتية –مصاحبة بالتنغيم– دورا بارزا في دقة التحليل اللّغوي على المستويات كافة، وعلى الأخص في حسبانها عاملا فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أجناسها النحوية المختلفة، وفي توجيه الإعراب كذلك؛ فقد لاحظنا أن بعض الأمثلة أو الآيات الكريمة تلقى إلينا بأكثر من وجه إعرابي، وبتقليب هذه الأوجه والنظر الدقيق في أحوالها المختلفة، نرى أن المسوّغ الحقيقي لها كيفيات أدائها نطقا، بما يلُفُّها من ظواهر صوتية تمنح التراكيب ألوانا موسيقية معينة ترشد إلى تسويغ هذا الوجه أو ذاك .

وللسكتة بالذات pause دور بالغ الأهمية في هذا الشأن، كما اتّضح لنا ذلك من جملة الأمثلة التي سقناها من قبل في هذا الصدد، وكما يتضح أيضا من المثال الآتي لتأكيد هذا الدور وأهميته في التحليل الإعرابى:

– تقرأ الآية الكريمة ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾(النازعات: 27) برفع كلمة (السماءُ)، ويفسّر الرفع هنا على أن (السماءُ) معطوف على الضمير (أنتم)، وتجيز قواعد اللغة النّصب على الاشتغال بتقدير فعل محذوف يفسّره المذكور. والوجهان صحيحان، ولا تجاوز فيهما وفقا لما تجيزه قواعد اللغة. ولكن بقي علينا أن نعرف كيف تؤدّى الآية نطقا في

كل حالة، حتى نفرّق بين هذين الوجهين وما نتج عنهما من اختلاف في نظم الآية ومعناها كذلك. في رأينا أن السكتة –إيجابا أو سلبا–هي الفيصل في فهم هذين الوجهين، وتسويغ جوازهما على وجه دقيق. ففي حالة رفع (السماءُ) عطفا على ما قبلها يقتضي النطقُ سكتةً خفيفةً بعدها مصحوبة بنغمة صاعدة، دليلا على الاستفهام في هذا الجزء من الآية، وتأتي بقيّتها توضيحا المضمون المقصود. والملاحظ أن بعض القراء يقفون وقوفا يكاد يكون تاما بعد كلمة (السماءُ) في حالة الرفع، وهو دليل إمكانية وقوع هذه السكتة .

أما في حالة النصب فلا سكتة ولا إمكانية لوقوعها بعد كلمة (السماءَ) لاتّصالها الوثيق بما بعدها، إذ هي في حكم المفعول للفعل بعدها، بل هي مفعوله عند بعضهم. وهنا تأتى إمكانية سَكتة في مكان آخر ، هو ما بين (خلقا) والعاطف (أم) وما يتلوه.

وبهذا التفسير الصوتي للأداء، يمكن إدراك جواز الوجهين، كما يمكن إدراك ما نتج عنهما من اختلاف في نظم الآية؛ فعلى الوجه الأول (رفع السماء)، يكون نَظم الآية على الوجه التالي: (أأنتم أشدّ خَلقا أم السماءُ ؟ بناها...)، في صورة استفهام للجزء الأول وعلامته في الكتابة [؟]، يتلوه توضيح للمقصود بالجزء الآخر.

أما في حالة نصب (السماء)، فيأتي النَّظم بهذه الصورة: (أأنتم أشدُّ خَلقا، أم السماءَ بناها ... ؟ بسكتة خفيفة بعد (خَلقا)، مصحوبة بنغمة صاعدة، دليلا على أن الكلام لم يتمّ، وتمامه بما بعده من بقية الآية. وقد أشرنا إلى هذه السكتة في الكتابة بالفاصلة (،)، وتكون الآية كلها جملة الاستفهام.

المصادر والمراجع:

أولا: كتب:

أ/ باللغة العربية:

1) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب، الإربد، عالم الكتاب الحديث، 1425هـ/2004م.

2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، 1985م.

3) الأصوات اللغوية، زين كامل الخويسكي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1429هـ/2008م.

4) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي جمال الدين أبو الحسن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1406هـ/ 1986م.

5) أهم المدارس اللسانية، عبد القادر الميهيري، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، الطبعة الأولى، 1990م.

6) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة السادسة، 1988م.

7) التحديد في الإتقان والتجويد، الداني الأندلسي، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، عمّان، دار عمار، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.

8) ترتيب العلوم، المرعشي محمد، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي، 1404هـ/ 1984م.

9) التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث، محمد جواد النوري، تقديم: رمضان عبد التواب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1439هـ/2018م.

10) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر، القاهرة، دار غريب، 2005م.

11)الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1952م.

12) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، البهنساوي حسام، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2005م

13) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الحمد غانم قدوري، عمّان، دار عمار، الطبعة الثانية، 1428هـ/2008م.

14) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، العراق، دار رشيد للنشر، 1980م.

15) دراسة السمع و الكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة، عالم الكتب، 2000م.

16) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، 1418هـ/1997م.

17) الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني، عبد الكريم مجاهد، مجلة الفكر العربي، بيروت، الطبعة 26، 1982م.

18) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، عمّان، دار عمار، 1393هـ/1973م.

19) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1402هـ/1982م.

20) سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، د–ت.

21) الصوتيات العربية والفونولوجيا، منصور بن محمد الغامدي، الرياض، مكتبة التوبة، 1421هـ.

22)علم الأصوات العربية، جواد النوري، الأردن، جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1996م.

23) علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، عصام نور الدين، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1992م.

24) علم الأصوات، كمال بشر، القاهرة، دار غريب، 2000م.

25) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات، إبراهيم محمد أبو سكين، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.

26) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السّعران، بيروت دار النهضة العربية، د ت.

27) علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، عصام نور الدين، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1992م.

28) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري محمد بن محمد، تحقيق: برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1352هـ/ 1933م.

29) في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ/1993م.

30) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، الفضلي عبد الهادي، بيروت، دار القلم، الطبعة الثانية، 1980م.

31) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د–ت.

32) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م.

33)اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2005م.

34) اللسانيات: المجال الوظيفية والمنهج، سمير شريف استيتية، الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2005م.

35) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، المغرب، دار الثقافة، 1994م.

36)مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، الإمارات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م.

37) مبادئ في اللسانيات، الجزائر، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر الجزائر، الطبعة الثانية، 2006م.

38) مخطوطة شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، المرادي حسن بن قاسم بن عبد الله، السعودية، مكتبة جامعة الملك سعود، د–ت.

39) المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، القاهرة، مكتبة الآداب، د–ت.

40) المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

41) معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982م.

42) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.

43) مقالات ونقاشات في اللغة، عصام نور الدين، بيروت، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، 1995م..

44) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م.

45) مناهج في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2008م.

ب/ مترجمة:

1) أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة : دكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، علم الكتاب، الطبعة الأولى، 1989م.

2) تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2003م.

3) علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ترجمة ودراسة: عبد الصبور شاهين، القاهرة، مكتبة الشباب، 1984م.

4) اللغة، فندريس.ج، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م.

ج/ باللغة الأجنبية:

1) Daniel jones, An Outline of English Phonetics, Cambridge, Cambridge University Press, 9 th Edition, 1976.

ثانيا: مجلات ودوريات:

1) أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين، مشتاق عباس معن، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، بغداد، الحولية السابعة والعشرون، 1427هـ/2006م.

2) أصول البنوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية، حجازي محمود فهمي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثالث، العدد الأول، 1972م.

3) الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، عبد الفتاح المصري، مجلة التراث العربي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 15، 1404هـ/1984م.

4) مدخل إلى علوم اللسان الحديث –القرن التاسع عشر: عصر الدراسات المقارنة والتاريخية–، عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 03، العدد 01، 1972م.

ثالثا: الرسائل والأطروحات:

1) المصطلح الصوتي عند ابن سينا في ضوء الصوتيات الحديثة، نسيمة قسايمي، رسالة ماجيستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة، 2013/2012م.

رابعا: دروس ومحاضرات:

1) دروس في النظام الصوتي للغة العربية، عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، أستاذ المشارك في معهد اللغويات التطبيقية، جامعة الملك سعود، السعودية، 1428هـ.

2) دروس في مقياس الصوتيات، عبد الصمد لميش، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة.

خامسا: مقالات وكتب إلكترونية:

1) جهود علماء التجويد في الدراسات الصوتية، أسعد محمد علي، موقع جامعة بابل. العراق .http://www.uobabylon.edu.iq

2) علاقة علم الصوتيات باللغة العربية، حسن المدني، مدونة إبراهيم الهنداوي .http://ibrahimalhendawi.blogspot.com/

3) صفات الأصوات، محمد داود، موقع الدكتور محمد داود .http://www.mohameddawood.com

فهرس المحتويات:

مقدمة	.....	أ – ث
المحاضرة الأولى	الدراسة الصوتية وفروعها.	10 – 05
المحاضرة الثانية	الصوتيات والفونولوجيا (إشكالية الترجمة).	14 – 11
المحاضرة الثالثة	الدراسات الصوتية عند العرب	28 – 15
المحاضرة الرابعة	جهود علماء التجويد في الدراسات الصوتية.	36 – 29
المحاضرة الخامسة	تقسيم الأصوات وترتيبها عند العرب.	41 – 37
المحاضرة السادسة	أعضاء جهاز النطق البشري ومخارج الأصوات.	50 – 42
المحاضرة السابعة	صفات الأصوات العربية.	59 – 51
المحاضرة الثامنة	نظرية الفونيم.	68 – 60
المحاضرة التاسعة	مكوّنات الفونيم وأنواعه.	75 – 69
المحاضرة العاشرة	المدرسة الوظيفية.	88 – 76
المحاضرة الحادية عشر	المقاطع الصوتية في العربية.	95 – 89
المحاضرة الثانية عشر	النبر.	102 – 96
المحاضرة الثالثة عشر	التنغيم.	110–103
المحاضرة الرابعة عشر	الفواصل الصوتية.	117–111
المصادر والمراجع	.....	122–118
فهرس المحتويات	.....	123–123